الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي– الأغواط

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربيين

مذكـرة ماستـر

تقديم الطالب: عامر بن غريقة

ميدان: اللغة والأدب العربيين
شعبة: الدراسات اللغوية
تخصص: لسانيات عربية

قوانين التخاطب في البلاغة العربية:

(دراسة في كتاب المثل السائر"لابن الأثير".)

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة
– سليمان بن علي	– أستاذ محاضر (أ)	رئيسا
– محمود طلحة	– أستاذ محاضر (أ)	مشرفا ومقررا
– أبو بكر بو قرين	– أستاذ محاضر (أ)	مناقشا

السنة الجامعية:2019/2018

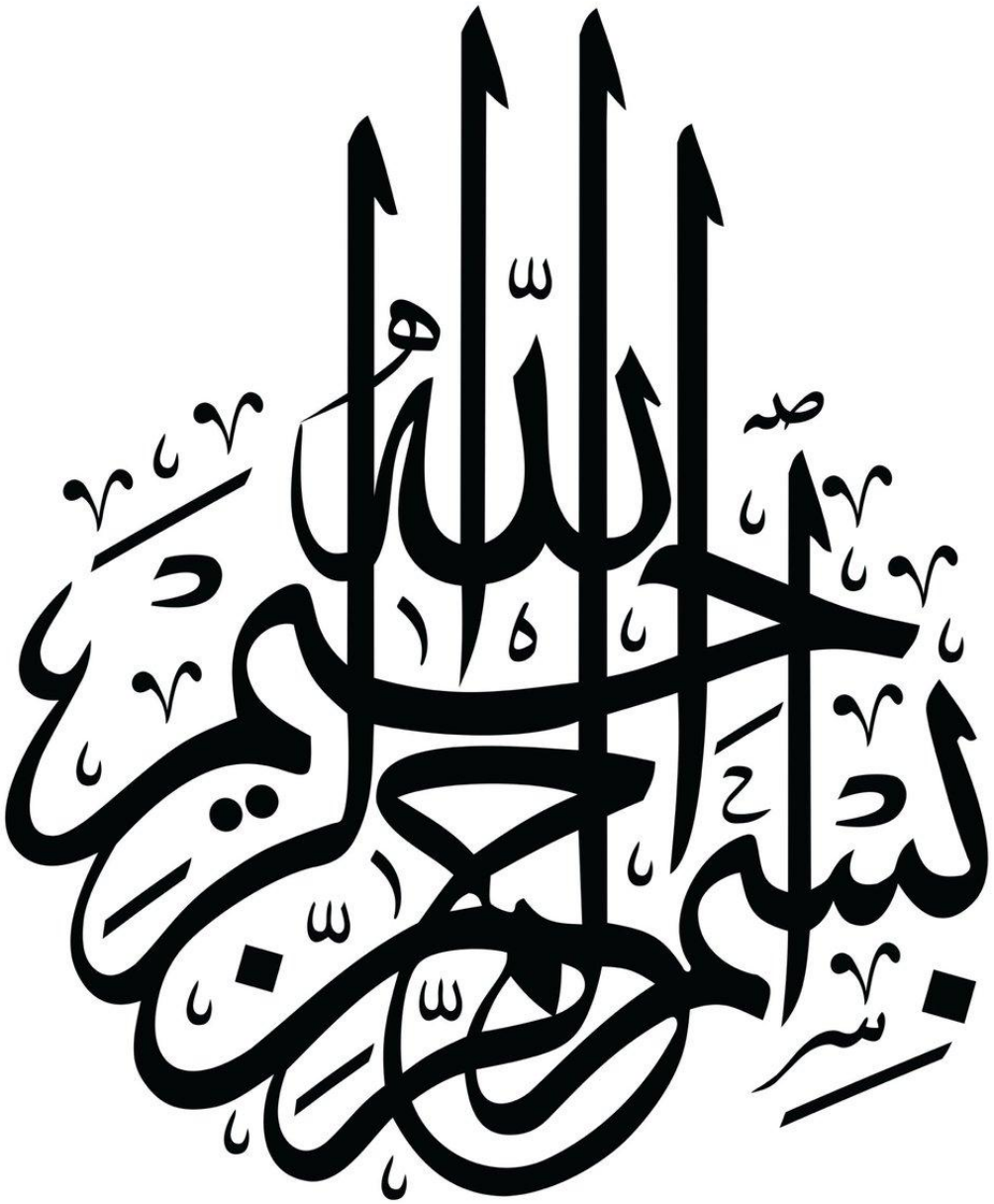
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله عز وجل الذي وفقني وأعانني على إنجاز هذا العمل

المتواضع

ويشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الخالص والتقدير

لجميل صنعه، وطول صبره، وأدبه قبل علمه،

أستاذي الفاضل الدكتور محمود طلحة

على رعايته لهذا البحث.

أشكركم شكرا جزيلا وأسأل العلي القدير أن ينفع بكم

أستاذي الفاضل الدكتور أبو بكر بوقرين

ولكم على هذا البحث عظم الامتنان.

أشكركم أستاذي الفاضل

الدكتور سليمان بن علي ، أستاذا معلّما

منذ كنّا عند أولى عتبات الجامعة

وعلى تحملكم عناء تصويب هذا العمل

شكرا لكم جميعا، و لجميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربيين.

إهداء

إلى من تحملت متاعبي أمي الغالية حفظها الله

إلى أبي وصاحبي العزيز أطال الله في عمره

إلى كل اخوتي ، إلى أصدقائي الذين لهم فضل علي

إلى أستاذي محمود طلحة ،و أستاذي سليمان بن علي ،و أستاذي أبو بكر بو قرين الذين ساهموا في توجيهي طيلة مراحل البحث

إلى من وقف معي ولو بالدعاء

إلى كل الأساتذة الكرام الذين تعاقبوا على تعليمي وتدريسي من الطور الابتدائي إلى الجامعي

إلى من ساعدني في إنجاز هذا البحث من أوله إلى آخره

أهدي عملي هذا

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم

وبعد :

التداولية علم يدرس استعمالات اللّغة، التي تعد أهمّ أداة لتعبير ، تقودنا إلى الحديث عن أهمّ وظيفة نؤديها ، هي الوظيفة التواصلية.فالتداولية باعتبارها علما قد احتوت فروعا عديدة ، من بينها فرع اهتم بالتخاطب و قنّن له قوانينه الخاصة ، أخذ بالاسم الذي عمل عليه و سمي باسم قوانين التخاطب ، هذا الجناح من الافهامية" منحنا فرصة لإدراك العديد من الظّواهر الكامنة ، و الأفكار القيمة التي حواها تراثنا الأصيل ، من هنا كانت الفائدة من اطّلاعنا على هذا العلم ، و الغاية التي نصبو نحوها تجليات مسلّمات التخاطب رغم حداثتها في بلاغتنا الأصيلة ، في هذا الصدد لمح البصر كتاب يعدّ من أمّهات الكتب في البلاغة العربية ، قمنا باتخاذه معيارا نقيس عليه أهمّ ما جاء من القوانين التي قنّنت التخاطب وتضمنّها الكتاب في طيّاته و ما احتواه ، هو كتاب ذاع صيته في حياة كاتبه ، و بعده ، و ما تلاه من عصور إلى يومنا الحالي هو كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير .

ظهرت قوانين التخاطب أول مرّة مع الفيلسوف "هوت بول غرايس"H.poul Grice في مقاله الشهير "المنطق و التخاطب"، و هذا ما أشار له طه عبد الرحمان في كتابه اللّسان و الميـــزان .

و امتدت دراسة "غرايس" إلى من بعده ليستدركوا أهم ما فيها و بادروا بتسجيل نقاط الضعف المتكونة داخلها، هؤلاء عدد من الباحثين اخترنا منهم في دراستنا ، عالمين هما "ديكرو" O.Decrot ، وطه عبد الرحمان ، مسلطين الضوء على ما قالوه و ما استنتجوه و ما أضافوه.

و بما أنّ هذا الفرع التداولي له جذور في تراثنا ، وجب علينا إظهار تجلياته في دراستنا من خلال كتاب المثل السائر لضياء ابن الأثير .

مما سبق يتأتى لنا طرح الاشكال التالي :

- ماهي قوانين التخاطب في التداولية ؟.

- و ما هي الظواهر البلاغية التي تتجلى من خلالها مسلّمات التخاطب في كتاب ضياء الدين ابن الأثير؟.

و للإجابة على هذا الاشكال وجب علينا ذكر أهمّ الاسباب التي دعت بنا الدخول في خضمّ هذه الدراسة :

- الرغبة في استكناه قوانين التخاطب بمختلف مفاهيمها المعرفية التي تناولتها .
- السعي و المساهمة في كشف قوانين التخاطب في ضوء ظواهر البلاغة العربية القديمة .
- ندرة البحوث التي تناولت التداولية بهذا الفرع وهذا النموذج .
- إجتماع رغبتي و رغبة استاذي المشرف في اختيارنا الدخول في هذا البحث الشيّق.
- المعرفة بكتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر.
- الوقوف على تجليات قوانين التخاطب في المثل السائر.

الإجابة عن كشف هذه الاشكالات تحسن بالبحث أن يرصد قواعد التخاطب بظواهر البلاغة مقاربة ، لأنّ في عرض القوانين و القواعد ما يكشف عن بعض ما يراد من غايات هذه الدراسة .

معتمدين على خطة بحث تتصدرها مقدمة جامعة لأهم ما تناوله البحث ، أمّا المدخل فتناول التداولية بشكل عام تمهيدا بالتطرق لبعض المفاهيم التي تساعدنا في استعاب الفصل النظري لبلوغ الوضوح في الوصف و ما تخصصنا فيه ألا وهو قوانين التخاطب.

ثم انتقلنا للفصل الأول الذي يعد دراسة نظرية للموضوع تطرقنا فيه لأهم ما جاء في قوانين التخاطب،عند "بول غرايس"، ثم عند أوزفالد ديكروا، ثم يليهم طه عبد الرحمان.

و في الفصل الثاني تم عرض نبذة عن ابن الأثير صاحب المثل السائر ، دخولا للفصل الاجرائي ، حيث نظهر أهمّ الظواهر البلاغية التي تضاهي قوانين التخاطب وتقاربها .تماشيا مع الموضوع تمّ تطبيق أهمّ عناصر الفصل النظري ليتسم بالتطبيق في كتاب المثل السائر و هذه هي الغاية المنشودة في البحث ، و ذكر أهم الظواهر التي تضاهي و تقارب ما جاء من قوانين تخاطبية تطرقنا إليها في الفصل الأول.ثم نختم البحث بأهم النتائج المتوصل لها من خلال مراحل البحث نظريا و تطبيقا.

أمّا المنهج الذي توسله البحث لبلوغ غايته ، هو المنهج الوصفي تماشيا مع متطلبات البحث في الفصل الأول ، و به تمّ عرض القوانين والمسلمات التي قام عليها" مبدأ التعاون" ، و ما جاء بعده واستدركه ، مثل ديكرو و طه عبد الرحمان ، و عرض أهم ما له علاقة بالموضوع . أما في الفصل الثاني فمتطلباته تميزت عن الفصل الأول ، و بما أنّه فصل يتسم بالاجرائية تمّ اختيار المنهج التحليلي الذي يعد منهج يوافق متطلبات الفصل.

يمكن القول و في سبيل البحث و التعمق فيه، إنّنا لم نصادف بحث شبيها به مستقلا يتناول قوانين التخاطب و المثل السائر ، وهذا لأنّ الموضوع تمّ اختياره بمن له خبرة في المجال استاذي المشرف" محمود طلحة"،

حيث إنّ محتواه يتناول قوانين التخاطب و المثل السائر ، من حيث الوقوف على تجليات جوانبه النقدية و ابداعية و ما يضاهيها و ما يقاربها في قوانين التخاطب قديما و في عصرنا الحالي .

و لأنّ البحث ينشد هدفه في الكشف عن تجليات قوانين التخاطب في كتاب المثل السائر ، فقد استفدنا من بعض المراجع و المصادر نذكر منها كتاب "استراتجيات التخاطب لابن ظافر الشهري" ، و " لسان والميزان أو التكوثر العقلي لطه عبد الرحمان " وكتاب تداولية الخطاب السردي لأستاذي محمود طلحة" ، و "كتاب التداولية عند علماء العرب لأستاذي مسعود صحراوي" و غيرهم من المراجع التي استفدنا من محتوياتها التي أعانتنا في خوض غمار هذا البحث الشق .

و لما انتقلنا للفصل الثاني كان لزاما العودة إلى كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لضياء الدين بالأثير واخترنا التعمق في جزئه الأول والثاني ، لوجود ما نناشده في هذين الجزأين ، بالاعتماد على مذكرات تخرج و مقالات من الأنترنت و الكتب أخرى ساعدت بنا الوصول للمعرفة و الغاية التي نصبوا لها .

في سبيل ذكر الصعوبات يمكننا القول : هي عقبات بسيطة يمرّ بها كل من هو بصدد التخرج ، و لعلّ من أهم هته العوائق ، عائق الوقت ، وعدم ايجاد سبيل لتوفيق بين العمل و مجريات البحث. أما ما هو دون ذلك فهو ما يحدث لكل طالب متخرج ، أدخلته ضمن متطلبات البحث .

في الأخير أشير إلى أن عمر إنجاز هذه الصفحات،كان قصيرا جدا، و لو مدّ له و زيد في أيامه لزاد و كشف هذا البحث عما خفي من أسراره، و قد قال أسلافنا "...و ذلك إني رأيتُ أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لوْ غُيِّرَ هذا لكان أحسن، و لو زيد هذا لكان يُستحَسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، و لو تُرِك هذا لكان أجمل و هذا أعظم العبر، و هو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ".

مدخل :

التداولية أصولا وامتداد

1. **مفهوم التداولية:**

أ. **لغة** : قد تستوقف أي باحث في المعجمات اللغوية ، جملة و معان تدور في حيز جذر اللغوي (د.و.ل) ، و إن كانت لا تخرج عن إطار التغير و التحول[1].

فجاءت معرفة في لسان العرب بقول " ابن منظور" تداولنا الأمر، أخذناه بالدول....، و على دواليك، أي مداولة على الأمر... ، دالت الأيام بمعنى دارت، و الله يداولها بين الناس، و تداولته الأيدي أخذته مرة و تلك مرة... ، تداولنا العمل و الأمر بيننا ، بمعنى تداولنا عليه فعمل هذا مرة ، و الآخر مرة ...[2]، في لسان العرب جاءت مادة (د.و.ل) بمعنى التغيير و التحول، و لا يختلف هذاا لشرح مع الشرح الذي جاء به ابن فارس في مقاييس اللغة إذ قال: " إذا دال إذ تحولوا من مكان لآخر، و منه تداول القوم الشيء الذي بينهم، إذ صار من بعضهم البعض لبعضهم الآخر.

و السؤال الذي يطرح نفسه من ما سبق من التعاريف التي اتفقت على أن مادة (د.و.ل) معناها التحول و التغير. فما علاقة التحول و التغير بالاستعمال الذي يعد شرحا من الشروح الاصطلاحية؟.

فالإستعمال يعنى بالتغيير والتحول لأنه عندما أستعمل الشيء مرة يستعمله الطرف الآخر مرة أخرى من هاهنا و في هذه النقطة تم الاتفاق على التداولية على أنّها علم يعنى بإستعمال اللغة.

و هذا ما جاء به " الزمخشري" في أساس البلاغة قائلا: دالت الدولة، وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، و أديل المشركون على المسلمون يوم أحد، والله يداول الأيام بين الناس، مرة لهم وأخرى عليهم، و الدهر دول و عقبة و الماشي يداول قدميه أي يراوح بينهما.[3]

من ما سبق نلاحظ أن أغلب المعاجم لا تخرج فيها دلالة هذا اللفظ عن نطاق التناقل والتفاعل والتغير وكل ما ذكر آنفاً من التعاريف ما هو متقارب المعنى، فجذر (د.و.ل) لا يتعدى التحول و التغير.

جاء في قاموس المحيط التحول المقتضي لوجود أكثر من حال تتداول بين الشيء وغيره. [4]

من هنا نلاحظ أن أغلب المعاجم لا تخرج فيها دلالة هذا اللفظ عن نطاق التناقل و التفاعل و كل ما سبق ذكره من التعاريف لتقريب المعنى ذاته ، لا تتعدى التحول المقتضي لوجود أكثر من حال تتداول بين الشيء و غيره.[1]

---

1 تمبراط سارة: الاستلزام الحواري في كليلة ودمنة،ماستر، العربي بن المهيدي،أم البواقي،2015 /2016،ص4.

2 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت –لبنان–، ط3، 1993،ص11،ص25.

3 محمود الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ، منشورات الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 2005،ص900.

4فيروز ابادي: قموس المحيط، دح محمد الباي، دار الفكر ،بيروت – لبنان، ط6، 2005، ص 900.

و هذا ينطبق على اللغة كذلك لأن منها ماهو حي يستعمل و يتداول و منها ما يموت و يبقى خير المعاجم و لا يفوتها و كذلك هي متحولة لدى المتكلم بها وصولا إلى السامع، و متنقلة بين الناس يداولونها

و لذلك كان (مصطلح التداولية الاكثر)[2] موافقة و ثبوتا للمصطلح الأعجمي (pragmatique).
وقد أراد " طه عبد الرحمان" بذلك أن يصل بهذا المدلول اللغوي لما يناسبه من تعاريف تراثية تتصل بمدلوله اتصالا وثيقا، لأن الدلالة الاصطلاحية تأخذ تباعا للدلالة اللغوية.

من هذا المنطلق حدد " طه عبد الرحمان " مفهوم المجال التداولي بقوله " من المعروف أنّ الفعل تداول في قولنا: تداول الناس بينهم – يحدد معنى تناقلوه وفق دائرة بينهم، ومن المعروف ايضا أن مفهوم النقل و الدوران أكثر ما يستعملان. منه نطاق اللّغة الملفوظة، والتجربة المحسوسة في مجال: نقل الكلام عن قائله، أي رواه عنه ونقل التي عن موضعه حركي عنه، و دار على الألسن، اي جرى عليها القول و مر.[3]

ب.التداولية إصطلاحا:

ممّا لا يخفى فيه أن ظهور " التيار التداولي " و لا يختلف إثنان على أنّ نشأة " التيار التداولي " كان على يد الفلاسفة التحليليين ، و فلاسفة اللّغة العادية لمسة " أكسفوورد " مثل " أستين" و "سيرل" و هذا ما أشار له صاحب التداولية عند العلماء العرب[4].

بإسهام هؤلاء الفلاسفة و العلماء عادت اللغة إلى ديناميكيتها بشكل جديد على غرار ما ألفناه من دراسات في علوم اللغة ، مستندة في ذلك إلى الانجازات التي قدمها المنطق المعاصر مع بداية القرن العشرين. [5]

فالتداولية هي ذلك العلم الذي يعنى بوصف العلاقات القائمة بين المرسل والمرسلة أليه، في إطار عملية التواصل، وكما تعني كذلك بالحدث اللغوي، بوصفه تعابير مدرجة في العملية التخاطبية .

في هذا الصدد يقول الأستاذ نواري سعودي" الأهم في عملية الاتصال، هو الشكل الذي يقوم المرسل من خلاله بإفهام المرسلة اليه ما يريد إيصاله له، باللجوء إلى سلاسل من العمليات.
يقصد من خلال هذا الاستشهاد أن الحوار بين الطرفين يحتمل ابعادا غير لغوية يحتكم إليها على التداولية.

1فيروز أبادي:قاموس المحيط، ص900.

2خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، د ط ، د ت ، ص198

3طه عبد الرحمان: تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب،ط3، 2007، ص244

4 مسعود صحراوي: التداولية في عن علماء العرب،دار الطليعة،بيروت–لبنان،ط2005،1 ص5.

5عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير ،افريقيا الشرق،الدار البيضاء–المغرب،دط،2006،ص17.

فالكلام المتبادل بين طرفي العملية التواصلية هو قطب الرّحى في الدراسات التداولية ، وعمودها الفقري [1]، لأنه يصف العمل والتطبيق ، ليحقق أهداف وغايات المتكلم والسامع معا فالتداولية إنما هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية ، و هي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة تهتم بالتلاؤم بين التعابير الرمزية، والسياقات المرجعية المفاهمية الحديثة و البشرية فمعنى التعريف الأخير يعبر في طياته على أن النظرية التداولية ،[2] تصرف نظرها عن المعطيات السياقية، والمتخاطبون في أثناء تخاطبهم لا يتفاعلون فيما بينهم بواسطة اللغة فحسب.

تعددت التعريفات رغم إلتقاء معظمها في بوتقة واحدة هي العلاقة بين المتكلمين و المقام الذي يجري فيه الكلام، كونها أقوالا تتحول لأفعال ذات صيغة إجتماعية بمجرد التلفظ بها.
و يعرفها بعض من الباحثين أيضا بمعنى أنّها دراسة للآثار اللغوية الظاهرة في الخطاب ، و منهم من ركز على الجانب الضمني للكلام، بالعودة لأقطاب الدرس التداولي، فهم يعرّفون التداولية بأنّها " تلك الانتاجية الصورية للمعنى، و التي تمنعنا من تشبيه الشخص المتكلم بالإنسان الآلي. [3]

هذا ما ذكره و إعتقده بعضهم أمّا ما ذكره البعض الآخر منهم هو قولهم عن التداولية: هي " نتيجة لحدث تلفظي، ليس منطوق بغير نطق، سواء كان هذا النطق ملموسا مثل: الإنتاج الخطي أو الشفهي، أو لم يكن مثل : الحديث الداخلي بين المتكلم ونفسه، و بإعتباره نطقا فإن الحديث فعل من هنا تسعى الفلسفة التحليل إلى دمج هذا المعطى البسيط في النظرية اللسانية. [4]

2- أقسام التداولية :

2- 1- أقسام التداولية عند الغربيين:

عند الوقوف على أن التداولية تدرس الكلام والاستعمال للغة فإنها تركز على ثلاث أركان في عملية التخاطب.

- من يتكلم؟ وهو المتكلم باديء الحوار.
- مع من نتكلم؟ وهو الطرف الثاني في الحوار.

1 محمد سويرتي: النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم تركيب توليد في اسلوبي تداولي، افريقيا الشرق،الدار البيضاء ، المغرب، د ط، 2007، ص 194.

2 فيليب بلانشيه: التداولية من أوسين إلى غوفمان، د ط ، د ت، ص18.

3 روبير مارتن: في سيل منطق المعنى، تر و تح: الحسن البكوش وصالح الماحري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص301.

4 نفس المرجع السابق، ص 30.

- لأجل من نتكلم؟ وهي الغاية من الكلام والنتيجة التي يطمح إليها بادئ الكلام.

هذه الأسئلة الجوهرية التي تنطلق منها التداولية لذلك تبلورت وتطورت لتكون من تداولية إلى تداوليات مبنية على درجات بإختلاف التصورات ومن بين هذه التصورات تصور هانسون:

تصور هانسون " قدمه سنة 1974، الذي يهدف من خلاله لتوحيد فروع التداولية بناءا على التقسيم الآتي:[1]

أ- **التداولية المرتبة الأولى**: و تختص بدراسة القضايا الذاتية في الخطاب ، فتدرس الأقوال ، و التصيغ التي تظهر مرجعيتها و دلالتها في سياق الحديث ، إذ تعد هذه الأقوال ذاتها مبهمة، إذا ما درسناها خارج السياق، و أشهر روادها هما " بيرس" و " كودمان".

ب- **التداولية المرتبة الثانية**: تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى صريح إلى المستوى الضمني، و يدخل ضمن هذه الدرجة من التداولية نظرية " غرايس " و نظرية " ديكرو " التي تتجلى في الاستلزام التخاطبي التي انبثقت منها قوانين التخاطب ، و التي تخضع للأحكام و المباديء التي يستلزمها التخاطب و مسلماته و ما ينبثق منها من ظواهر خطابية.

ج- **التداولية المرتبة الثالثة**: و تشمل كل الدراسات التي تدخل ضمن نظرية الأفعال الكلامية، التي تتحقق دائما من خلال السياق الذي يتكفل بتحديد جدية اللفظ و التلفظ.

و يقول صاحب التداولية عند العلماء العرب في هذا الصدد "... يقع مفهوم الافعال الكلامية" في موقع متميز من هذا المذهب اللساني الجديد في تصور المعاصرين و يشمل جزءا أساسيا من بنيته النظرية.[2]

و منه فإن نظرية الأفعال الكلامية هي أساس التداولية و يمكن تطبيقها على جل اللغات.

2- 2- التداولية عند العلماء العرب في التراث :

1 عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف – الجزائر، ط1، 2003، ص12-13.

2 مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص5.

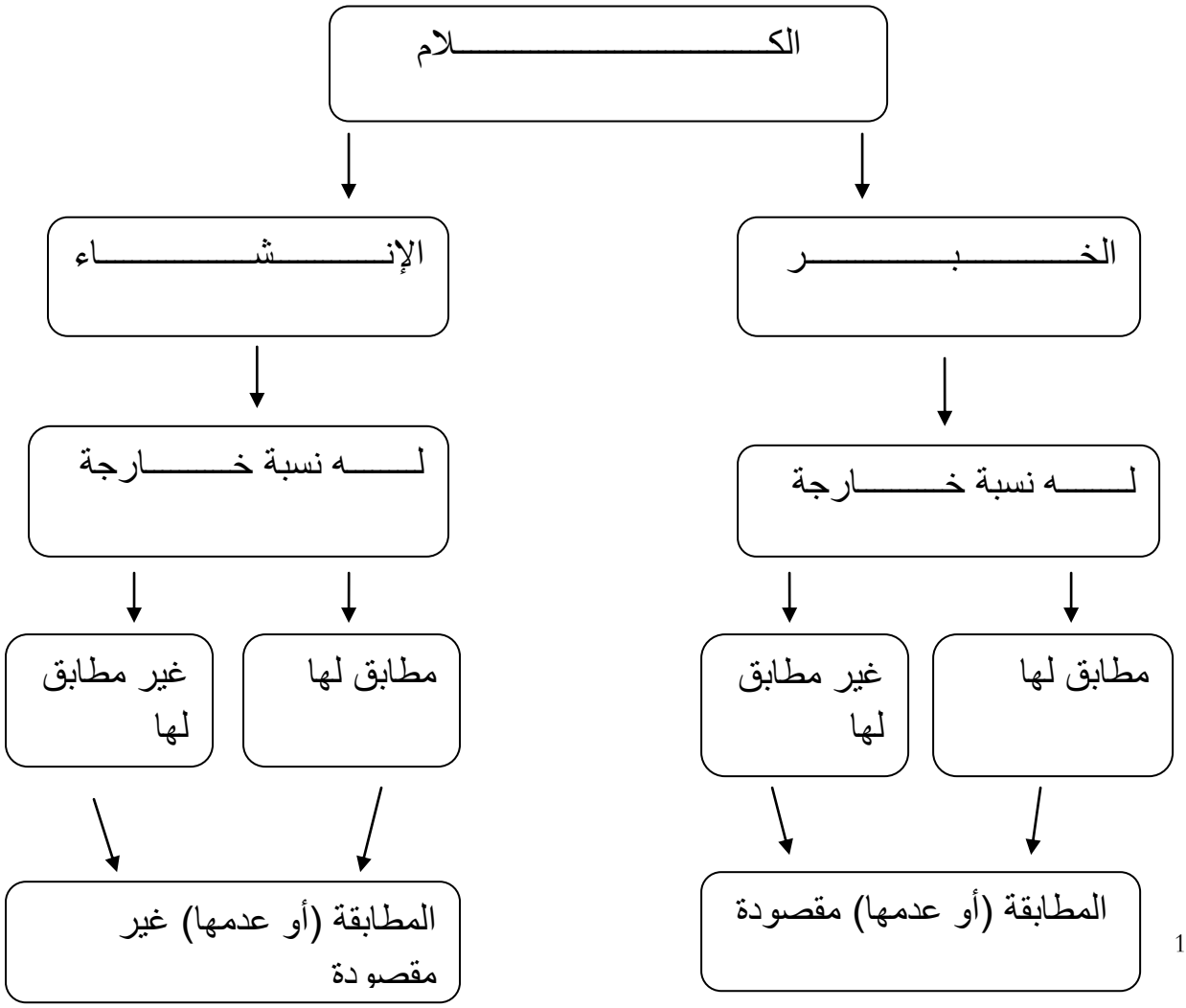

[1]

من المخطط الذي سبق يتجلّى لنا أن التداولية عند علمائنا العرب تتمثل في تراثنا على قاعدتي الخبر و الانشاء. التداولية عند العلماء العرب حديثا: سميت أيضا بالبلاغة الجديدة و التداولية مصطلح تم إرساءه في ستينيات القرن الماضي على يد الدكتور طه عبد الرحمان الذي قال بأنه هو المصطلح الأقرب من حيث الدلالة للمصطلح الأجنبي pragmatic.

التداولية لها صدى واسع التردد وسط مؤلفات الكثير من اللغويين العرب المحدثين، فضلا عن إرهاصات تراثية كثيرة من اهتماماتهم مثل اختلافهم في ترجمة المصطلح لينتج في آخر المطاف اشكالية في ترجمة فهم العلماء ، منهم من

1 مسعود صحراوي:التداولية عند العلماء العرب ، ص 69.

أصطلح على pragmatic البراغماتية، التداوليات، المفهامية ، الذرائعية ، النفعية ، و كذلك سميت بعلم التداول و المقاصد

الفصل الأول :

قوانين التخاطب في التداولية

- عند بول غرايس
- عند أوزفالد ديكروا
- عند طه عبد الرحمان

توطئة

إنّ اللّغة باعتبارها وسيلة تعبير ، و أداة مؤثرة في السلوك البشري ، تقودنا إلى الحديث عن أهمّ خاصية تتميز بها ، ألا و هي التواصل ، هذه العملية التي تحتاج بدورها إلى غايات توجهها ، لهذا نلحظ مدى الاهتمام الكبير لعلماء و فلاسفة التداولية و عنايتهم باللغة المستعملة في تنسيق العلاقات ، إذ نجد أغلب المعاملات اليومية و إن لم نقل كلّها قوامها الأساسي هو اللّغة . و كثيرا ما تكون عبارة عن حوارات يقوم بها المتكلم حول شيء يدركه هو و المتلقي على حدّ السواء مثل : إذا التقى شخصان لا يعرفان بعضهما في مكان ما في يوم شديد الحرارة ، و التفت أحدهما إلى الآخر قائلا: إنّ الجو حار جدا ،

هنا فقد شارك أحدهما إلى الآخر عبارة غير مجهولة للمتلقي ، فالمغزى هو أنّ المخاطب يتلطف لدخول في حوار مع السامع . لذلك نتساءل ماذا نعني بالقوانين التي تضبط التخاطب ؟ ، و من أول من إتجه بهذا الاتجاه في دراسة اللّغة المتداولة ؟، و من هم العلماء الذين استدركوا هذه الدراسة التي تعدّ طفرة نوعية في مجال الدراسات التداولية؟.

1.ماهية قوانين التخاطب:

1-1- تعريف التخاطب :

أ- **لغة** وردت كلمة تخاطب في القرآن الكريم في العديد من المواضع بمختلف الصيغ من ضمنها قول الله جلّا و علّا :﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[1] وقال تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾[2] ، إذ وردت أيضا في سورة النبأ بعد قوله تعالى:﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾[3]

ذكر "ابن منظور" مادة :(خ،ط،ب) ، في باب الباء فصل الخاء المعجمة و عرّفها قائلا : "خطب فلان إلى فلان خطبة و أخطبه أي أجابه و الخطاب و المخاطبة : مراجعة الكلام ، و قد خاطبه بالكلام مخاطبة و خطابا وهما يتخاطبان ... و الخطبة مصدر الخطيب و خطب الخطاب على المنبر ، واختطب يختطب خطابة ، و اسم الكلام : الخطبة ، قال:

[1] هود/37.
[2] ص/23.
[3] النبأ/37.

بن منصور: قال الليث: إنّ الخطبة مصدر الخطيب ، لا يجوز إلا على وجه واحد وهو أنّ الخطبة للكلام يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر ."[1]

أمّا التعريف الذي وسم بالدقة هو التعريف الذي وصفه "الآمدي" للخطاب يقول : "إنّه اللفظ المتواضع عليه ، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"[2]

نجد أنّ عبد الهادي بن ظافر الشهري يقول في مقام الخطاب:"حد الخطاب أنّه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا .[3]

و أضاف قائلا :"إنّ الكلام ، و الخطاب و المتكلم ، و التخاطب، و النطق، واحد في حقيقة اللّغة ، و هو ما يصير به الحي متكلما...أمّا من ناحية لفظ الخطاب ، فهو أحد مصدري فعل خاطب يخاطب و مخاطبة هو يدل على توجيه الكلام لم يفهمه ، نقل من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن على الاسمية ، فأصبح من عرف الأصوليين يدلّ على ما خوطب به و هو الكلام ."[4]

ب– قوانين التخاطب اصطلاحا: تطرقت بعض البحوث التداولية المعاصرة إلى مايسمى بقوانين التخاطب ، و قد كان من أوائل الباحثين الذين فتحو المجال لدراسة هو "هوربرت بول غرايس H.P.Grice في مقاله الشهير "المنطق و التحاور " ، و حاول من خلال طرحه لمفهوم "الاستلزام التخاطبي"التميز بين مقول القول من جهة و المستلزم من القول من جهة أخرى ، وقد ربط هذا الإطار ما أسماه بالاستلزامات التخاطبية بمبدئ التعاون الذي تقوم عليه قوانين التخاطب."[5]

قوانين التخاطب إذن كما قدم "غرايس" هي متفرعة عن مبدئ التعاون ، و الذي جعل منه يقنن و ينسج له جملة من القوانين ، لأنّه لاحظ " جل اللّغات الطبيعية ، في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي ، (أي المعنى الحرفي) و يتضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين الأستاذ (أ) و (ب):

- الأستاذ (أ): هل الطالب (ج)مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة ؟.

---

1 ابن منظور،لسان العرب،ص900.

2 عبد الفتاح يوسفي:قوانين التخاطب في الخطاب المسرحي"الفيل يا ملك الزمان"لسعد الله يونس أنموذجا،ماستر،عمّار الثليجي–الأغواط،2016،ص8.

3 عبد الهادي بن ظافر الشهري:استراتجيات الخطاب،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت–لبنان–،ط2004،1،ص36.

4 نفسه،ص39.

5 محمود طلحة : قوانين التخاطب في البلاغة العربية،العدد25،ص11.

- الأستاذ (ب) : إنّ الطالب (ج)لاعب كرة ممتاز، لاحظ الفيلسوف "غرايس" أنّنا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنّها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت ، أحداهما حرفي و الآخر مستلزم ."[1]

لذلك يتضح لنا في المعنى المستلزم أنّ الطالب (ج) غير مستعد لإكمال دراسته.و يفضل إتباع هوايته ألى و هي الكرة .

قوانين التخاطب المتفرعة على مبدأ التعاون أحدثها "غرايس" ليلتزم بها طرفي الحوار، و كلّما كان هذا موجودا، كلّما كانت هناك فائدة لكلا الطرفين . فمبدأ التعاون جاء ليضبط الحوار بالقوانين المتفرعة منه ، قوانين التخاطب إذن أو المسلمات التحاورية ...تعني مجموعة من القواعد و المعايير التي يفترض أن يقف عندها كل متكلم أثناء حديثه مع غيره [2]

صيغة مبدأ التعاون

- **ليكن انتهاظك لتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه.**

هذا المبدأ يستوجب أنّ يتعاون المتكلم ، و المخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه ، و قد يكون هذا الهدف محددا قبل دخولهما في الكلام أو يحصل تحديده أثناء الكلام . تنصف المتكلم و المخاطب على حد السواء لأنّ التخاطب لابد أن ينشأ بالتعاون بين الطرفين[3]

2. قواعد التخاطب المنبثقة على مبدأ التعاون: "عند بول غرايس".

1-2 مسلمة القدر Quantitié: تخص قدر (كمية) الأخبار الذي يجب أن تلتزمة بها المبادرة الكلامية وتتفرع إلى مقولتين :

أ. اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الأخبار.

ب. لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر ممّا هو مطلوب.[4]

هذه القاعدة بمقولتيها تفيد في مقدار الكمية التي ينبغي للمتكلم قولها أثناء مبادرته في الكلام .قالت أوركيوني :" إذا كان للشخصين فائدة في ممارستهما للكلام فإنّ كل طرف منهما سيجني ثمار ذلك ، إذا تحقق التبادل ، و عكس ذلك مآله الفشل."[5]

1مسعود صحراوي: التداولية في عن علماء العرب،دار التنوير،حسين داي–الجزائر–،ط1،ص45.

2 محمود طلحة:تداولية الخطاب السردي،ص120.

3 طه عبد الرحمان:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص238.

4 مسعود صحراوي:التداولية عند علماء العرب،ص46.

5 نفس المرجع السابق،ص238.

لذلك يتوجب على الطرف المتكلم مراعات قدر أو كم كلامه ، لكي تؤول العملية التخاطبية إلى النجاح ، المراد تحقيقه في إطار الحوار .

2-2 مسلمة الكيف : Qualeté : و نصها :

- " لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب.
- لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه .[1]

إذ ذكرها طه عبد الرحمان باسم "قاعدتا كيف الخبر ، و هي أنّ يتحرّى المتكلم صدق كلماته و أن يكون بالحجج التي تبهرن حديثه ، إذا لزم الأمر ."[2]

هذه القاعدة مهمة فهي التي تعنى بصدق الكلام المراد قوله أثناء الحوار ، و تكمن أهميتها في كونها هي الأساس المنطقي الذي يتلقاه المخاطب ، لذلك يتوجب على المتكلم مرعات صدق حديثه و البرهنة عليه إذا لزم الأمر .

2- 3- مسلّمة الملاءمة Pertinence: وهي

- لينا سب مقالك مقامك.

و هي مناسبة المقال لمقتضى الحال ، أي كما قال محمود طلحة في مقالّه قوانين التخاطب في البلاغة العربي :"قل ما يلائم ."

2- 4- مسلّمة الجهة Modalité : التي تنص على الوضوح في الكلام و تتفرع إلى ثلاث مبادئ:

أ. ابتعد عن اللبس .

ب. تحرّ الايجاز

ت. تحرّ التركيب[3]

نقول في الثلاث الأخيرة يجب على المتكلّم أن يكون واضحا ، و أنّ يتكلّم وفق ما يمليه عليه الموقف الذي هو فيه أي أن لا يطنب في حديثة أكثر من اللّازم ، و أن يكون أثناء سرده مرتبا لكلامه وما يقتضيه منه .

1 طه عبد الرحمان،اللسان و الميزان،ص238.

2 مسعود صحراوي: التدالية عند العلماء العرب،ص46.

3 نفسه،ص46.

هذه القواعد أريد بها ما يجب على المخاطب أن يلتزم بها أثناء الحواره ، لذلك سميت أيضا بالاستلزام الحواري، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم معاني صريحة و حقيقية .

3.خرق قواعد التخاطب

مجريات التخاطب (الحوار) قد تستلزم خرق هذه القواعد رغم مداومة طرفي الخطاب على حفظ مبدئ التعاون ، فإذا وقع هذا الخرق ، فإنّ الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح و الحقيقي (الحرفي)، إلى وجه غير صريح .

فتكون معاني ضمنية و مجازية كما أن ابقائل : لقد اشتد الحرّ بنا في هذا المكان " و هو يقصد أن يبادل أحد المستمعين إلى فتح النافذة ، إذ يخبرنا ما نحن على علم به ، لكنّه في باطنه طلب يهتدي إليه بافتراض أنّ القائل يأخذ به .[1]

في هذا الصدد وضّح "غرايس" تنميطا للكلام "يقوم على مقابلات الآلية التي تقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معاني صريحة وعاني ضمنية :

أ.المعاني الصريحة : هي المدلول عليها بصفة الجملة ذاتها و تشمل ما يلي :

- **المحتوى القضوي** : و هي مجموعة معاني مفردات الجملة مضمون بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.
- **القوة الانجازية الحركية** : و هي الدلالة المؤشر لها بأدوات تصيغ الجملة بصيغة أسلوبية ما ك (الاستفهام ، الأمر ،النهي ، التوكيد ، الداء ، الاثبات ، و النفي...) [2]

ب.المعنى الضمني : فيحتوي على المعنى الحرفي الذي هو إقتضاء مسبق و معنى تخاطبي يفيد متضمنات القول التي يستلزمها التخاطب ، و هذا ما هو موضح في الشكل التالي في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾[3]

لنختار في شاهدنا آخر الأية بقوله عزّ وجل (هل إلى مرد من سبيل)؟

إذ يتبين لنا البعد الضمني من خلال هذا المخطط التوضيحي:

1 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان،ص239.

2 مسعود صحراوي:التداولية عند علماء العرب،ص47.

3 الشورى/44.

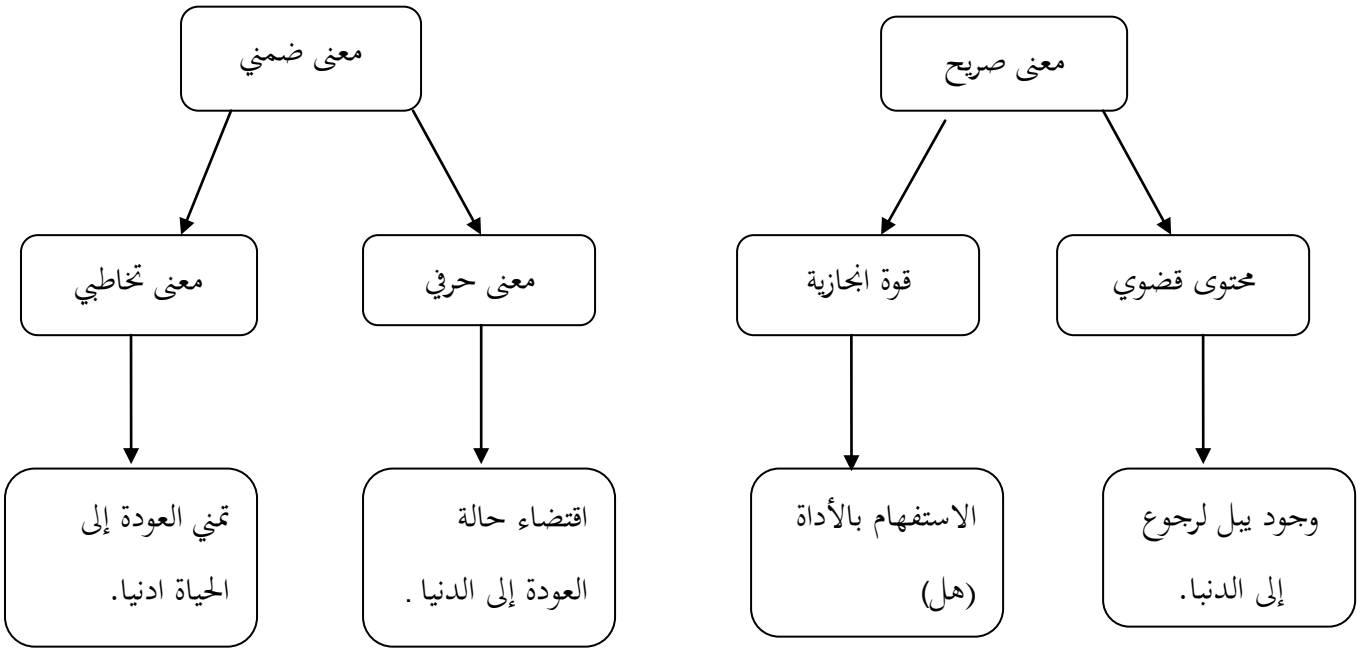

السؤال الذي يتبادر للأذهان ماذا يحدث إن تم خرق قواعد التخاطيب؟

تتم الاشارة أنّ المتحاورين قد يمتثلون لقواعد التخاطب في حواراتهم ، و أنّه قد يحدث الخروج عن تلك القواعد في بعض الأحيان ، و من أمثلة ذلك كالآتي :

3-1- خرق مسلمة الكم : في الحوار بين الأب (أ) ، و الابن (ب).

(أ) : هل ذهبت إلى السوق كما طلبت منك ؟ ، و مررت على بيت عمّتك ؟ .

(ب) : ذهبت إلى السوق.

سأل الأب إبنه سؤالين ، فأجابه عن واحد وسكت عن الثاني ، فكانت إجابته أقل من المطلوب ، و هو ما يقود إلى خرق قاعدة الكم وتتلخص في : إجابة (ب) محدودة –أقل من الطلبوب- بذلك يصح أن يقال في المثال السابق تمّ خرق مسلمة الكم.[1]

3-2- خرق لقاعدة الكيف :نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۙ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ ﴾[1]

[1] عبد القادر البار:الاستلوام الحواري و دناميكية التخاطب في مفهوم غرايس،2018،ص4.

" يحمل الخطاب خرق قاعدة الكيف التي أساسها" أن لا تقل ما لا تستطيع البرهنة عن صدقه" ، فهي بداية محاجة سيدنا ابراهيم للطاغية النمرود و استفهاما عن معناه الاصلي الى التعصب، و الغرض منه التشويق في سرد الأخبار، و مجريات الأحداث، (و قد يعمد المتكلم إلى أن يصدر كلامه بالسؤال قصدا منه إلى التشويق إليه، لأنّه أمر عظيم أو عجب أو ما إلى ذلك من معاني التي تصاحب معنى التشويق) [2]، ففي قوله تعالى: "أنا أحيي وأميت " التي تنصب على عدم قول ما تعتقد أنه كاذب، وما لا تستطيع البرهنة على صدقه، ويظهر من يليا من خلال رد سيدنا ابراهيم عليه السلام.[3]

3-3- خرق قاعدة العلاقة : في قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [4]

اشتملت الآية الكريمة على حوار بين سيدنا موسى عليه السلام وقومه بقوله تعالى: "قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير "

قد حملت هذه الإجابة معنيين ، معنى حرفي يحمل الاستفهام، و معنى ثان مستلزم و هو المراد بقوله يظهر من خلال السياق، فخرج عن غرضه بأسلوب التعجب ، كما يمكننا أن نلاحظ أنّ جانبه لم تكن على حسب ما يتضمنه السؤال فيقول " لا أدعو لكم " وإنّما اقتضى السياق هذا، إضافة إلى إجابته بتلك الطريقة حملت أسلوب التوبيخ، وتنبيهم لخطتهم، وسوء اختيارهم، فتعتبر الإجابة في نظر غرايس انتهاكا لمبدأ المناسبة(العلاقة) [5]

3- 4- خرق مسلمة النوع : تتمثل فيمايلي :

- (أ) ماذا تريد ؟

- (ب) إتجه إلى النافذة ، أمسك المقبض جيدا، ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، بعدها ادفع النافذة برفق قد تفتح.

---

1 سورة البقرة/ 258.

2 عبد القادر البار:الاستلزام التخاطبي في كليلة و دمنة ،ص5.

3 نفس المرجع السابق،ص5.

4 سورة البقرة/61.

5 نفس المرجع السابق، ص123.

كان بإمكانه أن يقول : " افتح النافذة فحسب" و هنا طلب منه ذلك بشكل غير مباشر، فجاء كلامه مطنبا في حين يفترض أن يجيز فيه قدر الامكان، لنجد في المثال خرق لقاعدة النوع.

مبدأ التعاون وضعه واضعه لضبط عملية الحوار (التخاطب) و كلما إلتزما به طرفي الحوار عاد بالفائدة لكليهما.

وإنّ أي ضرف يحدث على مستوى إحدى المسلمات أو كلهم ينتقل الحوار بعده من الصريح المعنى (حرفي) إلى الضمني، (المعنى التضمن في قول) مسند اليه بقول طه عبدالرحمان:"

وضع "غرايس " أصول الطريقة الاستنتاجية التي تبعها المستمع في الوصول إلى المعنى المقصود بالبناء على المعنى الظاهر، و ليس يعنين هنا أن نبسط الكلام في هذه الطريقة و لا في أصناف المعاني الحتمية التي يمكن أن تولدها ، و إنّما تكفي الإشارة إلى أن نظرية " غرايس" تجعلنا بين أمرين إثنين :

إما أن نتبع القواعد على مبدأ التعاون، و إما أن نخرج عنها ، فإن اتبعناها ، حصلنا فائدة قريبة، و هي الأقرب إلى ما أسماه الأصوليون بـ "المنطوق "، و إن خرجنا عن هذه القواعد ، حصلنا فائدة بعيدة، هي القريبة إلى ما سمّاه الأصوليون بـ " المفهوم " أو " المسكوت عنه" أو " دلالة الدلاة ".[1]

هذا هو مبدأ التعاون التي انبثقت منه قوانين التخاطب سابقة الذكر ، و بناء عليها جاء ما يستكملها من دراسات مثل ما جاء به " ديكرو" و زميله " أكسونبل " إلّا أن هذه الدراسات تختلف وتتنوع بحسب المنهج المتبع.

4. قوانين التخاطب عند "ديكروا":

كما قال صاحب كتاب تداولية الخطاب السردي: " و بما أنّ البحث في قوانين الخطاب أو قواعد التخاطب قد تتعدد و تتنوع حسب المنهج المتبع في دراسة الظواهر التحاورية ، فسنشير إلى بعض الصياغات العامة لهذه القوانين ابتداءا من استعمال الاستاذ اوزفالد ديكروا O.Ducrot لهذا المصطلح.. رغم أنّ بحثه أيضا قد جاء في سياق حديثه عن ظواهر الإضمار.[2]

إذ يتلخص ما جاء به " ديكروا " في أربع قوانين تستكمل مبدأ التعاون و ما تفرع عنه من مسلمات و مبادئ و أهم ما ذكره ديكرو في هذا الصدد هو :

4-1- قانون الاخبار informativifé : و هو شرط يخضع له بالتحديد كل تلفظ يكون الهدف منه إخبار "المخاطب" و في الحقيقة لا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة إلا إذا كان المخاطب لا يدري ما يشار إليه.[3]

1 طه عبدالرحمان، اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص239.

2 محمود طلحة: مسعود صحراوي تداولية الخطاب السردي ، عالم الكتب الحديث، ط1،2012،ص121.

3 نفسه، ص121.

هذا القانون يستلزم عدم دراية المخاطب لموضوع الخطاب .

لذلك فإنّ على المتكلم أن يقول ما لا يصر فيه و لا كان أمام أجوبة لاذعة من قبيل " أعرف ذلك " أو لم تعلمني بشيء جديد و مع ذلك فالحديث عن الطقس الجميل أو المطر يقدم شيئا للمخاطب إلا أنّه يكون من قبيل الاضطرار في حالات التعارف الأولية ، و رغم أنّ قانون الاخبارية يمنح ترديد ما قيل و يعتبر ذلك حشوا، ما عدا في بعض الحالات التي يضطر فيها المتكلم إلى إعادة الخبر لكي يربط ذهن المخاطب الشارد ، أو ما يقول بما قال أو قيل .بسب إطالته في الكلام ، وقد تكون هناك رغبة للمتكلم في أن يكون أكثر ايضاحا في بعض النقاط التي يعتقد أنّها ستكون غامضة بالنسبة للمخاطب.[1]

و الملاحظ أن قانون الاخبارية ، يمكن تطبيقه على مجموعة من أفعال الكلام مثل التقرير ، و هو الغالب ، و الاستفهام ، شرط أن تكون الإجابة بيّنة و الأمر و النصيحة و الشرط في ذلك أن يكون في الأمر أو النصيحة متحققين مباشرة بعد التلفظ بهما.[2]

4- 2- قانون الشمول exhjustivité : يرتبط هذا القانون بقانون الإخبار لأنّ الشمول (يكون عند الإخبار ، و يتلخص هذا القانون في إعطاء المتكلم المستمع كل المعلومات اللّازمة و التي هي في حوزته ، و يلح " غرايس" على أن تحتوي مساهمة المتكلم على أكبر عدد ممكن من المعلومات فيكون كلامه بالتالي شاملا.[3]

و يحدد " ديكرو " ذلك بقوله " أنّ على المتكلم أن يعطي المعلومات اللّازمة التي بحوزته عن موضوع الخطاب، و التي من شأنها أن تنفع المخاطب إذ أنّه من غير الطبيعي أن يصرح صبي لأمه أنّه أفاض الكأس بينما يكون قد كسره ، أو أن يدّعي قائد عسكري أنّه أضاع قرية و لكنّه في الواقع أضاع مدينة .[4]

يتم خرق بنود هذا المبدأ بطريقتين اثنتين الأولى يتمثل في الجهر .

و الثانية تكون بكتم قدر من المعلومات تخص الموضع المتكلم عنه. ممّا يجعل هذا القانون يضفي إلى ماهو ضمني و مستلزم أثناء الحوار ، أو إلا ما هو مكتوب في إشارات المرور "قف" فهذه الإشارة عليها لافتة "قف" لذا تعمدت السلطات إلى وضع لافتات مشابهة من نفس النوع على طول الخط لمنع الوقوف.

---

1 محمود طلحة: مسعود صحراوي تداولية الخطاب السردي ، ص121.

2 عمر بلخير ، الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية، (الخطاب المسرحي نموذجا)، ماجيستير ،جامعة الجزائر معهد اللغة العربية وأدابها، 1996-1997 ، ص105.

3 نفسه ، ص 106.

4 محمود طلحة ، تداولية الخطاب السردي ، ص122.

و هذا يؤدي بنا إلى قول أنّ هذا القانون يعطي للسامع قدرة استنتاج دلالات قد لا يظهرها صريح الخطاب ، مثل ذلك قول أحدهم " بعض الكتب التي احتوتها المكتبة مهمة .فيفترض السامع عند سماعه لهذه العبارة ان البعض الآخر مما تحتويه المكتبة غير مهم.[1] إذن فقانون الشمول يسمح للمخاطب بتزود بمعلومات سكت عنها المتكلم، و يجعل من إتهام المتكلم بالكذب أمرا ممكن ، لعدم رغبته بالإفصاح على كل معلوماته ، و هذا ما يوضحه المثال الآتي :

لّافتة محل مكتوب عليها البيع بالجملة و عند دخولك للمحل ترى عكس ما هو مكتوب في اللّافتة.

فعلا هذا يثير الأعصاب و هو ما يمثل العدول عن قانون الشمول .[2]

قانون الشمول عند "ديكرو" يبدؤه المخاطب و يحكم عليه السامع ، فالسامع هو الذي يقيس ما إذا كان المخاطب يخفي كلاما أو سكت عنه.

3- 4- قانون الصدق sincérité : تكلم محمود طلحة في كتابه تداولية الخطاب السردي إذ يوقول : "... و يتمثل في قول المتكلم للحقيقة كما يتصورها موجودة في الواقع أو كما يدركها في الواقع، و المثال على ذلك أنّ كلّ أفعال الكلام تقتضي مجموعة من الشروط و القواعد التي تخضع لها لعبة التواصل ، فلتقرير شيء ما يلتزم المتكلم بأن يضمن حقيقة ما يقرره ، و كذا إذا أمر فعليه أن يكون مريدا لتحقيق المأمور به ، لا أن يأمر بالمستحيل وقوعه ، و على العكس من ذلك فإنّ المتكلم لا يلتزم بهذا القانون إذ تمنى شيئا لا يمكن تحققه".[3]

الصدق هو مقوم من مقومات الحوار الناجح ، و هو الذي يضمن للمتخاطبين الاستمرار في الحوار مع ضمان أخذ الفائدة لكليهما . و لنجاح قاعدة الصدق يقول عبدالهادي الشهري:" أمّا قاعدة الصدق، فتقتضي بالممارسة في المستويات الثلاثة الصدق في الخبر ، و الصدق في العمل ، و مطابقة القول للفعل فصدق الخبر ، هو حفظ اللّسان عن الإخبار بأشياء على خلاف ما هي عليه. أمّا الصدق في العمل، فهو صون السلوك عن إشعار المرسل اليه بأوصاف هي على خلاف ما يتصف به.

و أما مطابقة القول للعمل، فهو حفظ اللّسان عمّا يشعر المرسل إليه بتفاوت بين اللّسان و السلوك. و ما يدعم ذلك أن الدخول لعملية المخاطبة هو تشغيل لما يسمى بالكفاءة التداولية ، و المخاطبة نفسها هي جزء من العمل ..."[4]

إذ أنّ الصدق في التخاطب هو ما يضمن شد انتباه المخاطب ، و تشويقه و انفعاله و التأثير عليه أثناء الخطاب فالصدق في القول و السلوك و العمل هو أساس نجاح عملية التخاطب بين الطرفين ، إذ لم نقل هو منطق الحوار.

---

1 عمر بلخير:الخطاب تمثيل للعالم،ص106.

2 ينظر:نفسه،ص60.

3 محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي ، ص122.

4 عبدالهادي الشهري :استراتيجيات الخطاب، ص95.

4- 4- قانون الإفادة : في هذه القاعدة لا بدّ للمتكلم أن يتكلم في ما يفيد السامع ، و أن لا يخرج عن الموضوع المراد التخاطب في شأنه. إلّا إذا كان المتكلم يمتلك السلطة على سامعيه في هذه الحالة يكون هنالك خرق لقانون الإفادة على سبيل المثال عدول الأستاذ أو الواعظ في خطبه أو الكاتب إذ أنّهم أحيانا يتكلمون في ما لا يفيد المخاطب لأنّه يتوقع ويفترض فيهم أنهم يقولون ما هو في صلب الموضوع و ما يفيد في فهمه.[1]

قانون الإفادة يعتبر المحور الذي تنتظم وتترتب من حوله القوانين الأخرى ، لأنّ الكلام يهدف لما يقيم به السامع و مدى استفادته منه يقول "ويلسون" و "تسبربر" : " إنّنا نعترف بأنّ كل الأحكام تنطوي تحت مسلمة الإفادة ، التي هي أكثر دقة و صحة من الأحكام الأخرى ."[2]

فالإفادة هي " ... علاقة مباشرة بالنتائج التداولية التي تفرض على المستمع و في علاقة عكسية بالثراء الاخباري الذي يحتويها.[3]

إذا فقاعدة الإفادة هي تحصيل حاصل لكل المسلمات السباقة فالمغزى من الكلام هو إفهام المخاطب و إذا حصل الفهم حصلت الإفادة تبعا له . هذا ما أتى به "ديكرو" من خلال بحثه و تعمقه الذي أضاف على مبدئ التعاون قوانين جديدة مستنبطة منه .

5. قوانين التخاطب عند طه عبد الرحمان :

أمّا ما جاء به طه عبد رحمان استكمالا لما أتى به "غرايس" ، و "ديكرو" إذ قام بدراسته ، مستنتجا مبدأ بعدهما يدعم النظرية و يغلق ما بقي من ثغراتها سمّاه بمبدأ التصديق.

أ .**قانون التصديق** : هو مبدأ جاء به طه عبد الرحمان و الذي يضيف في حديثنا هذا الكثير ، لأنّه أول باحث عربي أخذ على عاتقة البحث في ما قدّمه "غرايس" و "ديكرو" و العديد من الباحثين الأعاجم في هذا المجال التداولي حديث النشأة ، الذي تبلورت منه العديد من النظريات منها ما ذكرناه سابقا ، إذن ماهي ماهية مبدأ التصديق ؟ و ما هي القوانين المتفرعة منه ؟.

طه عبد الرحمان صاغ قوانين التخاطب إلى العربية فيما أسماه بمبدأ التصديق ، إذ يرى أنّ قوانين التخاطب لها جذور في التراث الاسلامي مثل المقولات المعهودة من مطابقة القول للفعل و تصديق العمل للكلام .[4]

1 محمود طلحة ، تداولية الخطاب السردي، ص122.

2 عمر بلخير ، الخطاب تمثيل للعالم، ص99.

3 نفسه ، ص100.

4 محمود طلحة:تداولية الخطاب السردي،ص127.

ب . مبدأ التصديق

- لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك.

ليتفرع على هذا المبدأ قوانين عديدة و هي كالآتي:

5-1- قسم تواصلي:

- ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه ، إمّا في اجتلاب نفع أو دفع لضرر.
- ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه و يتوخى به إصابة فصرته.
- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.
- يجب أن يتخير اللفظ الذي يتكلّم به.[1]

هذا في ما يخص الجانب التبليغي التواصلي " و إذا نحن دققنا النظر في هذه القواعد ، نجدها جامعة لمبدأ التعاون و قوانينه المنبثقة منه التي اشتهرت عند المحدثين بتنظيم الجانب التبليغي إلاّ قاعدة واحدة ، و هي قاعدة الكيف (أو قاعدة الصدق)[2]

5-2- قسم القواعد التعاملية : و هي متفرعة عن مبدأ التصديق في الجانب التهذيبي قسّمه محمود طلحة في كتابه تتداولية الخطاب السردي إلى ثلاثة قواعد هي :

أ. قاعدة الصدق : لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك.

ب. قاعدة القصد : لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير

ت. قاعدة الإخلاص : لتكن في تودد للغير متجردا عن أغراضك.[3]

1 محمود طلحة ، تداولية الخطاب السردي ،ص127.

2 طه عبد الرحمان : اللسان أو الميزان ، ص250/249.

3 نفس المرجع السابق،ص127.

5-2-1- الصدق :حيث أنّ قاعدة الصدق تقتضي تطبيق الصدق بإعتباره مقوم من مقومات المتكلم المتخلقة ، و كذلك ينطبق على السامع إذ يكتمل الصدق باكتمال هذه المستويات الثلاث:

أ. الصدق في الخبر.

ب. الصدق في العمل.

ت. مطابقة القول للفعل.[1]

حيث يشرح طه عبد الرحمان هذه المستويات قائلا:" أمّا الصدق في الخبر، فهو أن يحفظ المتكلم لسانه عن إخبار المخاطب بأشياء على خلاف ماهي عليه ، و أمّا الصدق في العمل ، فهو أن يصون سلوكه عن إشعار المخاطب بأوصاف هي بخلاف ما يتصف به ، و أمّا مطابقة القول للعمل ، فهو أن يحفظ لسانه وسلوكه عن إشعار المخاطب بوجود تفاوت بينهما."[2]

5-2-2- القصد: و هو عنصر من عناصر الجانب الأخلاقي التوزيعي يختص به كلا الطرفين على حد سواء.[3]

5-2-3- قاعدة الإخلاص : تقتضي بأن يقدم المتكلم حقوق المخاطب على حقوقه ، و ليس في هذا التقديم حط من مكانة المتكلم و لا إضاعة لحقوقه ، فلا يحط هذا التقديم من حق المتكلم ، لأنّ هذه الحقوق ثابتة ... كما تنبني علي التأدب المتبادل ، بحيث كلما زادت أخلاق أحدهما ، ظهرت هي الأخرى عند الطرف الآخر. فلا تنقصه زيادة في الأدب شيئ ، و إنّما ترفعه رفعا ....[4]

لذلك فإنّ قاعدة الإخلاص ، بإتيانها على التأدب ، يكون الصدق و الإخلاص مقومين أساسيين فيها .[5]

و في نهاية هذا الفصل نشير إلي أبرز النماذج ألتي سجلت وتم احصائها في كتاب طه عبد الرحمان إذ قال: أنّ التخاطب يبين التفاعلية و تعتمد علي مبدأين اثنين

مبادئ تواصلية و أخرى تعاملية (تبليغية،تهذيبية) و إنّ أهم مبادئها التي تقررت عند المشتغلين، النظر في الكلام الانساني خمسة "مبدا التعاون " و "مبدا التادب " و "مبدا التوجيه" و "مبدا التأدب الأقصي " و "مبدأ التصديق "

1 طه عبد الرحمان:اللسان والميزانً،251.

2 نفسه،ص251.

3 نفسه،ص251.

4 نفسه،ص252.

5نفسه،ص252.

إخترنا في هذا الفصل أن نشير وندخل غمار ثلاث مباديء أولها عند غرايس باسم مبدأ التعاون إذ يعد هذا ركيزة كل المباديء التي آلت إليه واستكملت النقص الذي فيه.

الفصل الثاني :

قوانين التخاطب في كتاب "المثل السائر "

- نبذة عن ضياء الدين بن الأثير
- التعريف بالمثل السائر
- تجليات قوانين التخاطب في المثل السائر

1.ضياء الدين ابن الأثير و عصر:

1-1- التعريف بضياء الدين ابن الأثير: هو أبو الفتح نصر الله ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير الجزري ، عربي الأصل ، ولد بجزيرة ابن عمر سنة 558 هـ، منتصف القرن السادس هجري،يقول خلجان أثناء ترجمته لابن الأثير "...انتقل مع والده الى الموصل في رحب سنة تسع وسبعين،وخمسمائة و بها اشتغل بتحصيل العلوم.

توفية ابن الأثير سنة 637 هـ ، في العراق بالعاصمة بغداد."[1]

1-2- عصره: عاش ضياء الدين ابن الأثير في النصف الثاني من القرن السادس هجري،حيث عاصر دولة الأيوبين في مصر و الشام و الجزيرة ، وشهد هذا العصر انتقال من الدولة العباسية الكبرى،الى عصر التفكك و الانحلال السياسي على أيدي المغول و الصليبين ، و تفتت الدولة الاسلامية إلى دويلات صغرى تحكمها جماعات متفرقة مذهبا و جنسا ، أمّا المجتمع فيتكون من أمشاج متعددة من عناصر و جنسيات متباينة الطباع و العادات و التقاليد و الديانات،فيما اهتم العلماء بالفلسفة و العلوم العقلية ، و أقبل كثيرون على علوم اليونان ، و فضلا على ذلك قد اهتم العلماء بالسيرة و التراجم و التاريخ... [2].

1-3- ثقافته : عائلة ابن الأثير التي عاشت في كنف العلم و الغنا كان لها دور كبير في توفير الشروط اللّازمة في ظهور و بلوغ ما بلغه من علم و تأليف ، ليس لوحده بل و أشقاءه الاثنين كان لهم نفس الحظ في اكتساب المعرفة و إخراج التآليف ، كما سبق و ذكرنا عندما تحدثنا عن عصر صاحب المثل السائر.

فمجد الدين شقيق ضياء الدين كان علما في التفسير و النحو و الحساب و غريب الحديث ، و عز الدين كان إماما في التاريخ ممّا يشهد له كتابهّ الكامل في التاريخ[3] .

عائلة ضياء الدين المثقفة و ميسورة الحال ساعدته على النبوغ و اعتلاء الدرجة الأعلى في العلم ، أمّا كتابه الذي ألّفه و الذي نحن بصدد دراسته ، صار في عصره منارة يحتذي بها كل مبحر في الشعر و أدب.

و قد أمضى ابن الأثير شبابه بالموصل يتلقى العلم على يد جماعة من شيوخ العلم و الأدب ، هو من عائلة كرست حياتها للعلم لما وجدوه في عصره من اهتمام واسع من قبل الحكام الذين إهتمو بترميم ما حطمه المغول و الصليبين ، و محاولة استرجاع المكانة الحضارية و العلمية التي كانت في أوجّها إبّانة الخلافة العباسية[1].

---

1 يمينة رعاشالقضايا الابداعية والنقدية في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير،دكتوراه علوم،جامعمة العقيد حاج لخضرباتنة،2014 /2015،ص10.

2 نفسه،ص11.

3 بدوي طبانة،البيان العربي،دار المنار،الرياض-السعودية-،ط1988،7،ص258.

إنّه عصر صلاح الدين الأيوبي و الأيوبيين عصر استرجاع إرثنا و حقنا كمسلمين و كعرب و القيام بالحضارة التي كادت أن تزول بعد غزو المغول و الصليبين و فتح أرض المقدس نصرها الله.

وعلى الصعيد الأدبي و النقدي فقد شهد القرن السابع نهضة ثقافية و أدبية وعلمية واسعة ، اتسمت بالنمو السريع و النشاط ، فكثر الشعر و الشعراء و زاد الاهتمام بالبلاغة و التأليف ، ليظهر للعيان المثل السائر عام 637 هـ ، ويكون منارة يستدل بها كل شاعر و الناثر ، إذ ظهرت معه كتب شتّى اهتمت بالأدباء و الشعراء من بينهم "شرح نهج البلاغة"لابن العبيد . 653 هـ . ، و كتاب غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لابن ظافر الأزدي سنة . 623 هـ ، وغيره من الكتب التي أضاءت طريق كل من انتهج حياة الشعر و الأدب.

في الموصل اشتغل ابن الأثير و حصّل العلوم ، و حفظ القرآن الكريم ، و كثيرا من الحديث الشريف و طرفا صالحا من النحو و اللّغة وعلم البيان و الشيء الكثير من الأشعار.[2]

1- 4-مذهب ابن الأثير: تعكس المؤلفات النقدية في عصر من العصور الاتجاهات الفكرية السائدة و يظهر معها جليا المذاهب التي انتهجها أصحابها في مؤلفاتهم ، إذ أنّ هناك خلفيات تتحكم في إنتاج النقاد و البلاغيين لا يمكن التعرف عليها إلاّ بالبحث و التقصي في ثقافة المؤلف الخاصة، من هذا المنطلق كان لزاما تسليط الضوء على التوجهات الفكرية و المذهبية لضياء الدين[3].

إنّ ابن الأثير و في مواضع شتّى من كتابه المثل السائر كان يحاول إظهار براءته من المنطق، نافيا أن يكون في مؤلفاته متأثر باليونان و أفكارهم ، من ذلك ما ذكره عن الشعراء العرب في قوله :"...إن غد وعيت أنّ هؤلاء تعلمو ذلك من كتب علماء اليونان فلذلك في جوانب:هذا باطل لي أنا ،فإنّي لم أعلم شيء مما ذكره حكماء اليونان ، و لا أعرفه ، و مع هذا فأنظر إلى كلامي...".[4]

ممّا ذكره ان الأثير نستنتج أنّ الكتاب الذي بين أيدينا تراث عربي أصيل،تناول القضايا الإبداعية التي كل يتقصاها كل ناقد و شاعر، ممّا ذكره أيضا أنّه استدل بالشعراء الكتاب الذين يستشهد بهشعرهم في كثيرامن الأحيان، و

1 مرجع سابق ،ص12.

2 ابن خلجان،وفيات الأعيان و أنباء الزمان،تح:احسان عباس،دار صادر،بيروت . لبنان .،دط، ج5،ص389.

3 يمينة رعاش،القضايا الابداعية و النقدية في المثل السائر،ص19.

4 ضياء الدين بن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،المكتبة العصرية،بيروت-لبنان-،2010،دط،تح: محيي الدين عبد المجيد، ج1،ص302.

قال: إن كان شعرهم و أدبهم من اليونان قد أستمد فهذا باطل ، بحيث أنّ الكتاب يتناول البلاغة و النقد و هذا ما عهده العرب وعرف عنهم (الشعر و الأدب).

رغم أنّ ابن الأثير نفى تأثر منهجه بالمنطق اليناني إلا أنّ الكثير من النصوص تدحض هذا الزعم،ويؤيد هذا القول شوقي في ضيف عن الكتّاب والمؤلفين أنهم كانوا يأخذون بأنفسهم بالتثقف ثقافة واسعة بكل ما انتقل من الراث الأجنبي ، و خاصة الفلسفة اليونانية التي كانت رائجة العصر آن ذاك زمن ابن الأثير ومن عاصره والتي انفتح عليها العرب إبّان الحضارة العباسية ،كما كانو يأخذون أنفسهم بثقافو العربية الأصيلة.[1]

زغلول سلام أخبرنا في كتابه الأدب في العصر الأيوبي ، عكس ما تحدث به شوقي ضيف اذ يبرهن أنّ ابن الأثير لم يتأثر بالفلسفة اليونانية ، ولا بمنطقها لا من قريب ولا من بعيد ، بقوله:"...معاداة كل ما جاء الى العربية والإسلام من علوم دخيلة و خاصة ما يتصل منها بالمنطق والفلسفة وما يضرّ منها بأصول العقيدة...[2]

هذا ما يفيد في مذهب بن الأثير الذي اتّسم بتشبثه بالتراث العربي الأصيل ، وعدم ميوله إلى الحكمة اليونانية ولا بمنطقها الذي كان في زمنه يعد ابتداعا في العربية التي شرفها الله جلّا وعلا وجعل منها اللغة التي تحفظ القرآن كما أنزله بها سبحانه، الى اليوم الذي يرفعه من الأرض كريما محفوظا. كما أنّ الفلسفة الدخيلة تختلف عناّ كونها لا تتبع لا دينا و لا عقيدة ، أساسها الأساطير و الروايات التي تتغير و تحرف جيلا عن جيل ، فديننا هو الذي يجدر بهم اتباعهم لا نحن المسلمين اذ نستمد عقيدتنا من االقرآن الكريم ، و السنة المطهرة المبجلة رزقنا الله اتبعها .

1- 5- آثار التي تركها ابن الأثير: صاحب المثل السائر والكثير من التصانيف التي لاقت رواجا هائلا في عصر ، و حتّى الساعة ، في النقد والبلاغة و الأدب ، نذكرها مرتبة في جدول على حروف المعجم استمدتها من رسالة دكتوراه كاملة جمعناها في جدول مقسم إلى خانتين:

خانة تم جمع كل مؤلفاته التي وصلتنا ، و في الخانة الثانية جمعنا فيها بعض من مؤلفاته المفقودة :

1 شوقي ضيف:البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف،القاهرة-مصر-،ط9،دت،ص21,

2 محمد زغلول سلام:الأدب في العصر الأيوبي،منشأة المعارف،الاسكندرية-مصر-،دط،1990،ص106.

آثار بن أثير التي وصلتنا	آثار بن الأثير المفقودة
1. الأدعية المائة المختارة. 2. الاستدراكات، كما سماها ابن خلجان . 3. البرهان في علم البيان 4. رياض الأزهار. 5. الجامع الكبير فيصناعة المنظوم من الكلام والمنثور. 6. رسائل بن الأثير (دواوين الترسل). 7. كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب, 8. مؤنس الوحدة. 9. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. 10. المفتاح المنشأ في حديقة الإنشاء. 11. مناظرة بين الخريف والربيع. 12. الوشى المرقوم في حل المنظوم.	1. رسالة في أوصاف مصر. 2. رسالة في الضاد والظاء. 3. السرقات الشعرية. 4. المجرد من الأخبار النبوية. 5. المجرد من أمثال الميداني. 6. مجموع اختيار في أبي تمام ، و البحتري وديك الحب ،والمتنبي. 7. المعاني المخترعة في صناعة الانشاء. 8. الرسالة في المعاني المبتدعة.

[1]

هذا ما تمكّنا من قوله في صدد الحديث عن التراث الزاخر الذي اتسم به ضياء الدين ، الذي كان يصبو لرفعة اللغة العربية، و حفظ ما أمكنه منه مؤلفا عدد لا بأس به من المصنفات التي يعد بعضها من أمهات الكتب لأصالتها و مضمونها،كالكتاب الذي نحاول دراسته و نحن بصدده ، كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

في صفوة الكلام نقول أنّ ما قمنا به هو تعريف بسيط عن حياة ابن أثير و ما قام به من انجازات أدخلته ضمن الخالدين بعملهم، مقدما لعصره و ما تلاهمن عصور اضافات لم يأتى بها أحد من قبله في النقد و البلاغة ، و كان له ما أراده إذ أنّه يعد منارة تنعت الطريق لكلّ مبحر في النقد و البلاغة و أدب.

1 يمينة رعاش:القضايا الابداعية والنقدية في المثل السائر،ص21،ص22،ص23.

2. كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:

2 -1- لمحة عن الكتاب:

كتاب المثل السائر كتاب يعد درّة بين كتب البلاغة و النقد ، و قد أحدث حركة كبيرة في علم البلاغة ، و أفاد منه من جاء بعده من النقاد و البلاغين الذين حذو حذوه، و كان له حضور واضح في مؤلفاتهم ، و ليس هناك كتاب في البلاغة إلاّ و المثل السائر له تأثير فيه ، و لا زال تأثير المثل السائر ممتدا إلى يومنا هذا، فهو مرجع نفيس أصيل من مراجع النقد و الأدب،[1] إذ أنّ محتوى الكتاب يحمل في طياته كل الأساليب الذي اعتمد عليها أعمدة الشعر العربي و أمثلة و حكم اعتادها العرب ، بالإضافة لما يحمله من فنون الكتابة التي يتقصاها كل ناثر وشاعر في ابداعه ، و تأليفه.

يحتوي الكتاب في ثناياه ، البحث في علم البلاغة و النقد لصناعة الكتّاب و الشعراء ، و يتضمن مقدمة ومقالتين تمّ بناء الكتاب عليهما ، فالمقدمة تشتمل على أصول علم البلاغة ، و مقالتين تشتملان على فروع علم البلاغة.

ثمّ وضع المقدمة في عشرة فصول تناول فيها علم البيان ، و ما ينبغي له من الأدوات ، و هي عنده ثمانية أنواع :

1. معرفة الصرف والنحو.
2. معرفة المألوف استعماله في فصيح الكلام.
3. معرفة أمثال العرب وأيامهم.
4. الطلاع على تأليف المتقدمين من قامات هذا الفن.
5. معرفة الأحكام السلطانية.
6. حفظ القرآن والتدرب على استعماله ، في أصناف الكلام .
7. حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم .
8. معرفة العروض والقوافي.[2]

و تلت المقدمة مقالاتان حول علم السان: المقالة الأولى تضمنت الصناعة اللفضية مثل (السجع، التجنيس، المقابلة ، الطباق ، و السجال... و كل ما يدخل ضمن المحسنات البديعية.)، والتي قسمها إلى قسمين :

- قسم يتناول اللفظة المفردة.
- و قسم يتناول اللفظة المركبة.

---

1 يمينة رعاش:قضايا النقدية والابداعية في المثل السائر،ص25.

2 ينظر: ابن الأثير:المثل السائر،ص28.

المقالة الثانية تناولت الصناعة المعنوية مثل (الاستعارة ، التشبيه ، الايجاز ، و الاطناب...)، اذ أنّ هذه الأخيرة تعد صلب المقاربة التخاطبيّة بين قوانين التخاطب التداولية ، و بين ما ذكره ابن الأثير، بين قوانين التخاطب و قواعد الكتابة.

2-2- منهج ضياء الدين في التأليف :المنهج الذي سلكه ابن الأثير ، هو المنهج التعليمي إذ نرى أسلوبه سهلا بسيطا واضحا وضعه واضعه خدمة للمتعلمين فكان أسلوبه واضحا قريبا إلى الفهم داعما كل فكرة بشاهد موضحا إيّاها بمثال. قد استطاع أن ينظم دراسته للبلاغة التي يسميها باصطلاحه "علم البيان" ، مستفيدا إفادة كبرى من جهود الذين سبقوه من جهة المادة أو تنظيم و الفهرسة.[1]

و ممّا أبان عليه تنظيم كتابه ، بمقدمة ثم الى قسمين أولهما يهتم بالصناعة اللفضية ، و ثانيهما يتناول الصناعة المعنوية ، و ممّا لا ريب فيه أنّ هذا التقسيم حري بالثناء له، حيث إنّه تقسيم جديد لم يتماش مع مناهج التأليف في عصره .

ورغم ذلك سار ابن الأثير على نهج النقاد و البلاغين في العناية باستخراج الأقسام و استيفالها و طلب الشواهد لكل فن وكل قسم منها ، فتراه يتعقب المباحث والأبواب متلمسا الحد الجامع المانع لها . ومواليا عناية الشديدة لردّ الاصطلاح إلى معناه اللّغوي فتجد التحديد والتعريف وإلى جانبه النص والمثال ، ثم يليهما رأيه في الحكم والإصابة أو سوء الاستعمال ، وأحيانا يكتفي بالشاهد دون تحليل أو تعليل أو تعقيب.[2]

انتهج ابن الأثير في معالجته و طرحه الأفكار طريقة السؤال والجواب ، إذ يفترض سائلا مناقشا ومعارض له، ومن ثم يجيب .هي طريقة اجرائية تتيح للمتعلم التعلم وللقارئ الفهم ، حيث يعرض الفرضيات ويبرهن على خطئها ،مستنتجا قاعدة تتمّ بتقرير فراضية واحدة.

2-3- قيمة الكتاب النقدية والبلاغية : جمع ضياء الدين في المثل السائر أصول البلاغة العربية ، والنقد الأدبي ، وقد أحدث كتابه طفرة نوعية في مجال الأدب ، والنقد بين طبقة المثقفين في عصره ، وانتشر على نطاق واع ، وتهافت الطلّاب ،و الكتّاب ، و الذين لهم شغف المعرفة بالشعر ، و الأدب على نسخه ، للاستزادة منه ، وأخذ منه ، مثيرا نقاشا حادا بين مؤيد ، و ناقد .

1 يمينة رعاش:قضايا النقدية و الابداعية في المثل السائر،ص26.

2 ينظر:بن الأثير: المثل السائر،ج1،ص364،ص406.

يصنف المثل السائر ضمن أهم ما ألّف في مجال البيان و البلاغة ، يتكون من مجلدين جمع فيهما كل أصناف الكتابة الشعرية ، و النثرية ، و لم يترك شيئ يتعلق بفن الكتابة إلاّ ذكره ، و بيّنه ، و شرحه .[1]

يقول ابن خلجان:"و لضياء الدّين من التصانّيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سمّاه المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، و هو في مجلدين جمع فيهما فأوعى ، و لم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلاّ ذكره ".[2]

المثل السائر شدّ انتباه الشعراء و الأدباء و المتعلمين ، وفتح المجال للمِؤرخين و كلام ابن خلجان خير دليل ، فاعترف بمكانة المثل السائر في كل ما يتعلق بفن الكتابة ، إذ ذكره حنّا الفاخوري فقال : "كتاب ابن الأثير خاتمة الدراسات ، العباسية في موضوع البلاغة العربية ، أراد فيه صاحبه أن يقول الكلام الفصل ، و أن يكون فيه إمام الأقدمين و أستاذ المحدثين ، نهض فيه نهضة عنفوان يريد مطاولة السابقين و اللّاحقين ، و مدّ السلطان العلمي على كل باحث و ناقد."[3]

في" المثل السائر" وجّه ابن الأثير نقدا لاذعا لمن أسماهم متخلفي هذه الصناعة ، يجعلون همهم مقصورا على الألفاظ التي لا حاصل وراءها و لا كبير معنى تحتها ، و إذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع على أي وجه من أوجه المحسنات البديعية ، يعتقد أنّه أتى بأمر عظيم...[4]

3. الاستلزام الحواري في المثل السائر:

قوانين التخاطب في التداولية تتجلّى ضمن مقالة الصناعة المعنوية ، في كتاب ابن الأثير ن و في هذا الفصل نتطرق إلى اجراء عدد من المقاربات التي تثبت صحة هذا التجلي و تشابه .

إذ لا يمكننا أن نقدم آخر مقالة عن أولها ، و لهذا نتناول المقالة الأولى مقالة الصناعة اللفظية تفيدنا في الحالة المقامية للمتكلم في اختيار الألفاظ المناسبة ...

3-1- مقالة الصناعة اللفظية : يتطرق ابن الأثير في هذه المقالة إلى الألفاظ المجردة، المعزولة عن الجانب المعنوي ، وتمّ تقسيم هذه المقالة إلى قسمين ؛ الأول منها يتناول اللفظة المفردة ، و الآخر يتناول فيه اللفظة المركبة.

---

1 لامية فلكاوي،سمية فراج:قواعد الكتابة الفنية عند ابن الأثير من خلال كتابه:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ماستر أدب عربي قديم،عبد الرحمان ميرة-بجاية-،2018/2017،ص8 .

2 ينظر: محمد أبحير:ابن الأثير وكتابه المثل السائر في أدب الكاب والشاعر،/ htt//anfass.org،10جوان2018.

3 ينظر:حنا الفاخوري :جامع في تاريخ الأدب العربي ،دار الجيل،ط1،بيروت،لبنان،1986،ص402.

4 ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر ،ج1،ص211.

3-1-1- اللفظة المفردة : مثّل لها ابن الأثير بالآلة المبعثرة فقال :"و حكم ذلك حكم الآلى المبعثرة ، فإنّها تتخيّر و تتلقى قبل النظم."[1]

الألفاظ المفردة عند ضياء الدين بن الأثير عبارة عن آلة مبعثرة يتجلّى دور الكاتب فيها ، هو جمع هذه الألفاظ و انتقائها حسب مراد الكاتب أو الشاعر.

هذا ما نجد في مقام المخاطب عندما يكون في عزاء فإنّه يتخير الألفاظ الموافقة لحالة أهل المتوفي ، و ينتقي من الألفاظ ما يؤنسهم و يصبرهم كتعظيم الأجر لهم .

اختيار الألفاظ المناسبة يستعي شروط لابد منها للصانع أن يقف عندها ، فالألفاظ المختارة لكتابة الشعر تختلف عن الألفاظ التي المختارة في كتابة النثر ، في هذا قال عبد المطلب في كتابه جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي : " وكلّ ذلك يتجاوز مجرّد كون اللفظة وحدة لغوية إلى كونها أداة فنية لها خواصها في النثر ، وهذه الخواص تأتي من عملية الاختيار التي يتوقعها المبدع على مخزونه المعجمي لينتقي منه ."[2]

و هذا الشرط لا يأتى للكاتب أو الشاعر إلا إذا كان له رصيد لغوي واسع، يساعده على انتقاء ما يناسب صناعته فالألفاظ تعد مفاتيح المعاني ، بها يصل الى مراد ويثبت براعته.

نشير ها هنا إلى أهمية اختيار اللفظة عند صاحب المثل السائر ، إذ يحدث أن يكون للمعنى الواحد لفظتان ، هنا تتدخل براعة الكاتب أو الشاعر في تحديد اللفظة المرادة ، ليتفادى اللبس و يستعمل اللفظة التي تخدم ابداعه.يستدعي هذا الانتقاء الفني التنوع و الاختلاف باختلاف الجنس الأدبي المراد صناعته ، فما يناسب البيت الشعري من ألفاظ غير ما يناسب النص النثري.

ما ذهب إليه ابن الأثير في حديثه عن المعنى الذي يحتمل لفظتين و أكثر من القرآن الكريم قال تعالى : " ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه " وقوله تعالى : "ربي إني نذرت ما في بطني محررا" فاستعمل "الجوف " في الأولى و "البطن" في الثانية و لم يستعمل لفظة "الجوف" محل "البطن" ... و اللّفظتان سواء في الدلالة ، وهما ثلاثيتان في عدد واحد و وزنها واحد فأنظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل"[3]

فيما سبق تمّ الوقوف عند قيمة اللفظة و المدى الذي يمكن أن تجسده في الصناعة الأدبية والنثرية.

---

1 بن الأثير: المثل السائر،ج1،ص163.

2 محمد عبد المطلب : جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم،الشركة المصرية العالمية ،القاهرةمصر،ط1955،1م،ص84.

3 نفسه،ص164.

3-1-2- اللفظة داخل التركيب : و هذا ما تجسده المقاربة بين ابن الأثير من خلال كتابه المثل السائر و التداولية في العصر الحالي ، إذ تحدثت نعيمة يعمران من خلال مقالتها التي جاء بعنوان " تجليات البعد الضمني للخطاب عند "بن الأثير" تقول :" يهدف هذا المقال إلى إبراز الترابط الشديد بين البلاغة العربية القديمة و التداولية المعاصرة ، و ذلك من خلال الكشف عن بعض اهتمامات الطرفين ،مثل الاهتمام بالطريقة الضمنية التي يمكن أن يأتي عليها المعنى في الخطاب . فإذا كانت وظيفة التداولية تتمثل في دراسة الظاهرة اللغوية التي تحدث بين المتكلم و المستمع في عملية التخاطب ، إلى جانب تتبع الجوانب الضمنية للمعنى الذي يمكن أن نخرج به هذه العملية ... في البلاغة العربية خاصة عند بن الأثير ، مع بيان أهم الظواهر التي يتجلى فيها المعنى الضمني عنده مثل ظاهرة الالتفات ...[1]

3- 2- المثل السائر والتداولية:

التداولية هي علم يدرس استعمالات اللغة ، و كل ما أتى من دراسات في مجال التداولي يعتني اعتناء كبيرا بالخطاب و التخاطب و هو الشق الثاني إذ قلنا بأنّ اللغة نظام و استعمال و ما يندرج ضمن التداولية من (استلزام حواري ، وأفعال الكلام ، و الملاءمة) كل هذه الدراسات تنطلق من أنّ اللغة عملية تحدث بين المخاطب و المخاطب للإفادة بمعنى ، وفق سياق محدد . هنا تكمن القضية في ما إذا كان المعنى مباشر و واضح ، أو قد يكون ضمنيا غير مصرح به يدل عليه سياق التخاطب ."[2] فهل يا ترى يمكننا التماس التشابه الواضح بين التداولية بتحديد قوانين التخاطب ، وما قدمه ابن الأثير قبل ثمانية قورن أو يزيد؟.

بالرجوع إلى البلاغة العربية القديمة ، نجد أنّ أعلام البلاغة ركزو على دراسة المعنى وطريقة تبليغه إلى المتلقي ، كما نجد أيضا أنهم اهتموا بما قد يحمله الخطاب من معاني ايحائية ، و ضمنية و كل هذه الاهتمامات (ظاهرة تدخل ضمن علم سموه بعلم البيان) من بينهم بن الأثير ضياء الدين في كتابه "المثل السائر" في أدب الكاتب والشاعر "و الذي يعد علم من أمهات الكتب من التراث العربي ، وقد تحدثنا سابقا على الكتاب و قيمة في النقد و الأدب فهو ينقد الشعراء مثل "أبي تمام"، و" المتنبي"،و"أبي نواس "و"امرئ القيس" وغيرهم كثير ...تارة ، وتارة أخرى نجد أمام كتاب في الأدب ذلك أن ابن الأثير حاول أن يؤسس لعلم الأدب أثناء اقامته لقواعد تأسس لن الكتابة في شعر و الأدب .[3]

من الدراسات التي تهتم بها التداولية وتعد ركيزة البحث التداولي هو البحث على المعنى الضمني ، و متضمنات القول في الخطاب فما هي تجليات هذه الظواهر في كتاب المثل السائر ؟ . المعنى الضمني هو ما يناسب الاستلزام الحواري ، الذي انبثقت منه قواعد التخاطب.

1 نعيمة يعمران:تجليات البعد الضمني للخطاب عند بن الأثير،مولود معمري-تيزي وزو-،مج13،عدد1،ص67.
2 نفسه،ص68.
3 نفسه،ص70.

بالنظر للبلاغة العربية و بالتحديد للعلماء الذين ركزوا على دراسة المعنى ، وطريقة تبليغه إلى المتلقي ، إذ أنّهم اهتمو بما يحمله الخطاب من معاني عميقة يستدل عليها من مقام المتكلم هذا ما سموه بعلم البيان.

فما هي القضايا الذي يدرسها علم البيان؟ و هل يمكن أن نجد فيه ما يقارب الاستلزام الحواري الذي هو أصل قوانين التخاطب المتفرع منه؟.

سنحاول تسليط الضوء على بعض قضايا علم المعاني ، و نأخذ على سبيل المثال (الالتفات ، الكناية ، التعريض) ، باعتبارهم أقوالا مضمرة ، و افتراضات مسبقة تجسد الاستلزام التخاطبي في الدرس التداولي.

3-3- الالتفات : يعتبر الالتفات من بين الأساليب البلاغية الأكثر استعمالا في الخطاب ، وهو عبارة عن تلاعب المتكلم بالضمائر و أزمنة الكلام ،كما أنّه أسلوب كثير الورود في النص القرآن الكريم ، و هو ما نجده أيضا في الشعر العربي ، و قد تناوله البلاغيون القدامى من بينهم ابن الأثير في كتابه المثل السائر.

3- 3-1-تنويع الضمائر :

عرف بن الأثير الالتفات و يقول :"...حقيقته مأخوذة من الالتفات الانسان عن يمينه و شماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا و كذلك هذا النوع من الكلام خاصة ، لأنّه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة ،كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب الغائب إلى حاضر ، أو من فعل ماض إلى مستقبل ، أو من مستقبل إلى ماض."[1]

من خلال هذا التعريف يمكن لنا أن نقول أنّ الالتفات يسعى إلى التنويع في الضمائر و أزمنة الأفعال الخاصة بالخطاب و ذللك قصد شدّ انتباه القارئ مع الخطاب و تأثير فيه ، إلاّ أنّه في الكثير من الأحيان ما يؤدي إلى نوع من الغموض و هذا ما يستدل به بن الأثير من خلال شواهد من القرآن الكريم .

يقول ضياء الدين :"...علمنا حينئذ أنّ الغرض الموحد لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة ، و إنّما يؤتي بها على حسب الموضع الذي ترد فيه ."[2] حيث إنّه يرى أن تشعب المعاني وعمقها يعود إلى تنويع الضمائر و كلّما كان هذا التنويع في محله و موضعه زاد الصناعة جمالا وعمقا و بهاء . و هذا ما سمّاه بالعناية بالمعنى المقصود ، و يعدّ هذا التشعب استلزاما تخاطبي يطرؤ في المعنى في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا

1 ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ص181.

2 نفسه،ص184 .

وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾[1]

فالقارئ يكون في أول الآية مع ضمير الغائب ، و يتابع أحداث و أفعالا قام بها الفاعل الآخر في قوله جلّا وعلّا :" استوى"،قال "أوحى" و بعدها مباشرة يجد نفسه مع ضمير الحاضر " نحن" في قوله تعالى "زيّنا" ، مع العلم أنّ الضميرين "هو" و "نحن" يخصان معنا واحدا هو الله تعالى ، لأنّ الله عز وجل هو الذي استوى ، و قال أيضا سبحانه "و أوحى" ، و "زينا السماء" و فهم المعنى يكون بالعودة إلى سياق الخطاب ."[2]

بهذا أرفقت الأستاذة يعمران مخطط توضيحيا يبين الالتفات ، و ما يقاربه في التداولية بمفهوم الأقوال المضمرة.)

مخطط يبين تنويع الضمائر(الالتفات)

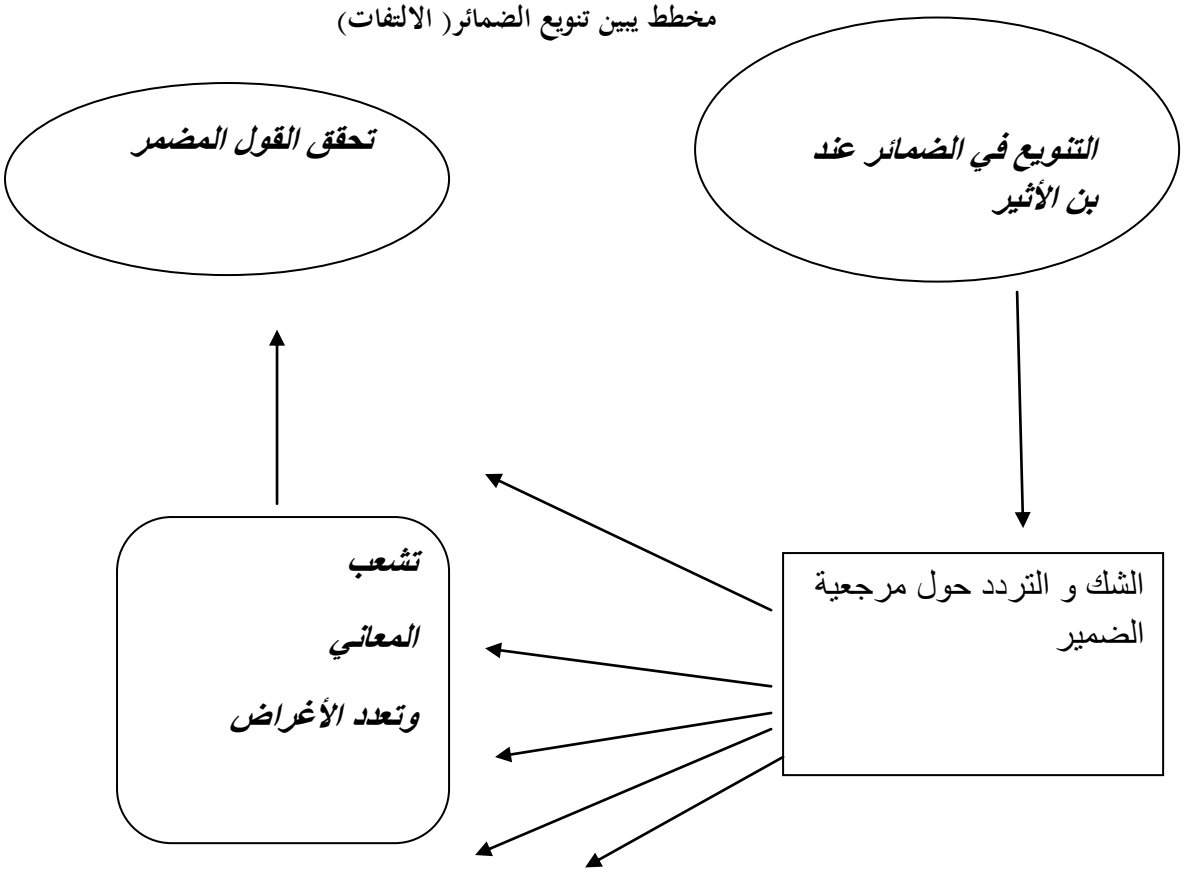

3-3-2-تنويع في الأزمنة : تداول الأزمنة يضفي لدّراسة البلاغي عن صاحب المثل السائر مقاربة تداولية مثل توع الضمائر ، حيث يأخذ بنا إلى الأقوال المضمرة ، عند التداوليين ، إذ يستشهد بن الأثير من القرآن الكريم في قوله

1 فصلت/11،12.

2 يمينةة يعمران:تجليات البحث الضمني للخطاب عند ابن الأثير،ص74.

3نفسه ،ص75.

تعالى : ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾[1] ، يظهر لنا قوله من خلال هذه الأية كيف جاء الزمن من قوله (أقيمو وجوهكم ....، و أدعوه مخلصين) ، وإذا ما تتبعنا البعد التداولي لفعلا الكلام في هذه الأية ، نجد أن مجيئ قوله (أمر ربي بالقسط) في زمن الماضي ، هو بمثابة افتراض مسبق لتحقق معنى ضمني ، وهو وجوب الصلاة الذي جاء بفعل أمر فكلّنا نعلم القسط أي العدل واجب في الاسلام ، فإذا كان العدل واجبا فإنّ الصلاة كذللك .[2] وقد أقرّ بن الأثير بهذا الأمر حيث يقول:"وكان تقديم الكلام أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعد عن ذلك إلى فعل الأمر بتوكيده في نفوسهم فإنّ الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو العمل القلب ."[3]

وفي هذا القصد يكون من الواضح والجلي لنا ما أحده تنوع اللأزمنة الذي ينبثق من اهرة الالتفات في البلاغة العربية ، وما يفيده في تقصي المقاربة بين الاستلزام الحواري الذي يعد أصل مسلمات التخاطب فهذا التنويع يضفي في بلاغة بعدا ضمنيا يشد انتباه القارئ ، ويؤثر في قلبه لعمق المعنى الذي يعمل عقله ويزيد شوقه . حيث أضاف شاهد أخر يبن فيه مدى تأثير تنويع على القارئ من القرآن الكريم قال تعالى :"(والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت أحيينا به الأرض بعد موتها ذللك النشور)[4]، وإذا دققنا النظر في الآية الكريمة ، لوجدنا أنا قوله في زمن الماضي (أرسل الرياح...فسقناه...فأحيينا به الأرض) ، افتراضات مسبقة لتحقق معنى ضمني في المستقبل و يوم النشور ، وهذا ما وضحته الأستاذة يعمرانن في هذا المخطط :

1 الأعراف /29.

2 يمينة يعمران:تجليات البحث الضمني للخطاب عند ابن الأثير ،ص76.

3 ضياء الدين بن الأثيرّ:المثل السائر،ج2،ص 193.

4 فاطر/9.

[1]

تطرقنا فيما سبق لتكلم لوجود ظواهر تستدعي النظر لتقارب بينها وبين الاستلزام الحواري ، الذي يكن عن معاني مضمرة و افتراضات مسبقة يستدل عليها بعمق النظر وتقصي المعنى ، إذن فكتاب المثل السائر أبان عن ظاهرة الالتفات التي تعد تجسيدا واضحا لما يجيء من تلك الافتراضات و الأقوال .

ثم نرتحل الآن إلى مرحلة تعد صلب موضوع بحثنا نتكلم فيها عن تجليات قوانين التخاطب في المثل السائر وأين يمكننا الجزم في وجودها ؟ ، وما يقاربها من ظواهر بلاغية تحدث عنها ابن الأثير بين دفتي كتابه المثل السائر؟ .

4. قوانين التخاطب في المثل السائر:

4-1- قانون الكم : هو قانون من قوانين البلاغة العربية نجده في مباحث علم البيان ، بالنظر إلى الاختلاف بين ما أتى به "بول غرايس" في مسلمة الكم وما عند البلاغيين العرب القدامى ، غذ يقوم هذا الاختلاف على أنّ غرايس فرّق تفريقا دقيقا بين القوم ومضمونه ، فمسلمة الكيف عنده متعلقة بالمضمون[2] ، أمّا هذا القانون عند بن الأثير في كتابه المثل السائر على حسب وجود الاخترقات ، ونجده يشير إلى هذا في القسم الثاني من كتابه المثل السائر ، بتحدثه في ظاهرتا (الايجاز ، و الطناب) ، وهما ما يمثلان قانون الكم وان كانت هته المقاربة ناقصة نوعا ما ، مقسما حديثه في (الايجاز) إلى ضربان الأول و"هو ما ساوى لفظه معناه" و سمّاه (الايجاز بالتقدير) ، أّمّا الضرب الثاني و هو ما زاد معناه على لفظه و اصطلح عليه باسم (الايجاز بالقصر) و في هذا الضرب يقسم محتواه إلى فرعين

أ. ما يدل على محتملات كثيرة .

1 يمينة يعمران، تجليات البعد الضمني عند بن الأثير،ص 77.

2 محمود طلحة :قوانين التخاطب في البلاغة العربية ، ص 13.

ب. مالا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها .[1]

سنحاول ها هنا الحديث وفق خطة ابن أثير مظهرين أهم نقاط التقارب بين الدراستين التداولية و ما جاء عند ابن الأثير في البلاغة العربية .

4-1-1-الايجاز بالتقدير : يقول بن الأثير :" ولنورد الآن الضرب الأول الذي هو الايجاز بالتقدير فما جاء من قوله تعالى :" ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿17﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿18﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿19﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿20﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿21﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿22﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿23﴾ ﴾[2]

فقوله : "(قتل الانسان) " دعا عليه ،وقوله :"(ماأكفره)" تعجب من افراطه في كفران نعمة الله عليه.

ولا نرى أسلوبا أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا أخشن مسم ، و لا أدلّ على سخط ، مع تقارب طرفيه ، و لا أجمل للائمة على قصر متنه."[3]

يكمل شرحه لمعاني الايجاز بالتقدير قائلا:" ثم إنّه أخذ بصفة حاله من ابتداء حدوثه إلى منتهى زمانه فقال من أي شيء خلقة "؟. ثم يبيّن الشيء الذي خلق منه بقوله :" من نطفة خلقه فقدّره" أي هيأه لما يصلح له. "ثم السبيل يسره" أي : سهل سبيله ، وهو مخرجه من بطن أمه ، أو السبيل الذي يختاره سلوكه من طريق الخير أو الشر ، ثم بعد ذلك يكون يسّر سبيله لما يختاره من طريقس الخير و شر .[4]

وبعد أن أتمّ شرحه للآيات ، يستأنف كلامه في مكانة الايجاز بالتقدير في معاني الآيات السابقة قائلا : " ألا ترى إلى هذا الكلام الذي أردت أن تحذف من كلمة واحدة لما قدرت على ذلك ، لأنّك كنت تذهب بجزء من معناه ؟و الايجاز هو ألا يمكنك أن تسقط شيئ من ألفاظه..."[5]،ويستشهد أيضا من شعر أبي تمام قائلا : "و على هذا الأسلوب جاء قول أبي تمام :

إنّ القوافي و المساعي لم تزل مثل النظام إذا أصاب فريدا

هي جوهر نثر إن ألّفته بالشعر صار قلائدا وعقودا

1 ينظر: بن الأثير المثل السائر،ج2،ص392.

2 عبس/17،18،19،20،21،22،23

3 ضياء الدين بالأثير : المثل السائر ،ج2،ص320.

4 نفسه،ص320.

5 نفسه،ص321.

فإذا القصائد لم تكن خفراءها لم ترض منها مشهدا مشهودا

من أجل ذلك كانت العرب الأولى يدعون هذا سدودا مسدودا

وتند عندهم العلا إلاّ علا جعلت لها ممرر القريض قدودا"[1]

في هذا الشاهد الأخير تبين لنا من قول ابن الأثير، الايجاز بالتقدير هو استحالة حذف أو زيادة الأفاظ من الكلام أو غيرهما و هو ما يقارب مسلمة الكم في قول غرايس : " مشاركة المعلومات المطلوبة في الحوار، وعند ديكرو تتمثل في قانون الشمول.

أمّا الضرب الثاني من المثل السائر هو نوع آخر من الايجاز سماه بن الأثير بالاجاز بالقصر.

4-2-1- الإيجاز بالقصر : يقول بن الأثير "و أمّا الضرب الثاني : هو الاجاز بالقصر : فإنّ القرآن الكريم ملآن منه و قد تقدم القول أنه قسمان ."[2]

الايجاز بالقصر و هو ما زاد معناه عن لفظه ، و هو نوعان :

أ .ما يدل على محتملات متعددة : يقول ابن الأثير :"فمن ذلك قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ۝77 فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ۝78 وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ** ﴾[3]

فقوله :"فغشيهم من اليم ما غشيهم " من جوامع الكلم التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة ، أي : غشيهم من الأمور الهائلة و الخطوب الفاتحة ما لا يعلم كنهه إلاّ الله ، ولا يحيط به غيره"[4].

و من هذا الضرب قوله تعالى: (خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين).

فهذه الأية جمعت مكارم الأخلاق و يفسرها ابن الأثير في قوله :" لأنّ الأمر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة ، و عن الكذب ، و غض الطرف عن المحرمات ، و غير ذلك ، و في الإعراض عن الجاهلين الصبر ، و الحلم ، و غيرها ."[5] نفهم من قصد ابن الأثير أنّ الإيجاز الذي يحمل احتمالات متعددة ، معناه أن تكون جملة أو عبارة وجيزة

1 ضياء الدين بن الأثير:المثل السائر ، ص335.

2 ،ص335.

3 سورة طه/77،78،79،.

4 ، ص336.

5 نفس المرجع السابق،ص 336.

يمكننا أن نؤولها إلاّ أبعد منها من ناحية الكم لسعت ما تحمل من معاني ، و قد استدل أيضا بشاهد من الحديث النبوي الشريف فقال :"... و من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم :"(الخراج بالضمان) ، و ذلك أنّ رجلا اشترى عبدا ، فأقام عنده مدّة ، ثمّ وجد به عيبا فخاصم البائع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فردّه عليه ، فقال : يا رسول الله ، إنه استغل غلامي ، فقال :(الخراج بالضمان). و معنى قوله (الخراج بالضمان) أنّ الرجل إذا اشترى عبدا فاستغله ، ثم وجد به عيبا دلسه عليه البائع فله أن يرده ، و يسترجع الثمن جميعه ، و ضمانه عليه ، و إذا كان ضمانه عليه فخراجه له ، أي له ما تحصل من أجرة عمله .[1]

من كلمتان و جيزتان بليغتان من قول رسول الله صلى لله عليه وسلم ، لزم الحكم و حث التغيير بإرجاع العبد لصابحه

و هذا ما يشير إلى أنّ الاجاز بالقصر يكون فيما تضمنه لفظه محملات كثيرة ، قال ابن الأثير مستشهدا ببت من ذلك القبيل يقول:"...و لا أعلم أنّ الشاعر قديما و لا حديثا أتى بمثله ، قد أخذه أبو تمام ، فأحسن في أخذه وهو :

وظلمت نفسك طالبا انصافها فعجبت من مظلومة لم تظلم

ففاز في البيت هذا بالمقابلة بين الضدين في الظلم و الانصاف ، ثم قال :"فعبت من مظلومة لم تظلم " وهذا أحسن من الأول ."[2]

يشرح لنا مدى الاحتمالات الممكنة لهذا البيت بقوله :" لمت نفسك طالبا انصافها " أي أنّك أكرهتها على مشاق الأمور ، وإذا فعلت ذلك فقد ظلمتها ، ثم إنّك مع ظلمك إياها قد أنصفتها ، لأنّك جلبت إليها أشياء حسنة تكسبها ذكرا جميلا ، ومجدا مؤثلا فأنت منصف لها في صورة ظالم "[3].

ب . ما لايمكن شرحه بما يشابهه من الألفاظ لا في كمها ولا في نوعها : و هو ما نجده عند شرذمة من البلغاء ، و هو نوع يختلف تماما عن الأول يقول ضياء الدين:"...من ذلك ما ورد في القرآن الكريم ، كقوله تعالى :(لكم في القصاص حياة).

فإن قوله تعالى :"القصاص حياة" لا يمكن التعبير إلاّ عنه لأن مقتل ، معناه إذا قتل القاتل امتنع غيره ، عن القتل ، فأوجب ذلك حياة للناس .

و لا يلتفت إلى ما ورد عند العرب "من قولهم :" القتل أنفى للقتل "[1]

1 نفس المرجع السابق، ص 336.

2 ضياء الدين بن الأثير:المثل السائر،ص338.

3 نفسه،ص338.

الوجه الأول : أنّ "القصاص حياة"لفظتان ، و " القتل أنفى للقتل ثلاثة ألفاظ.

من ناحية الكم الأية أوجز معنا كما وكيف فالآية تحمل كل ما يدخل ضمن القصاص وهي لفظتان ، أما ما ورد عند العرب ثلاث ألفاظ ولا يقتصر إلا على فعل القتل... الآية أوجز وأبلغ ولا يمكن أن يضاهيها لفظتان يدلّان نفس معناها

الوجه الثاني : أنّ في قولهم " القتل أنفى للقتل " تكرير ليس في الآية .

الوجه الثالث : أنّه ليس كل قتل نافيا للقتل إلاّ إذا كان على حكم القصاص. [2]

من شاهد القرآن الكريم و كلام العرب بيّن ضياء الدين الإيجاز بالقصر و شرحه، بيّن في معناها بلفظتان حتى العرب المتمتعون بالفصاحة لا يقدرون في استقطاب ما يشابه الآية في الكم وبالنوع أضافو كلمة في قولهم "أنفى" في شرحهم واستدل على معنى الآية بثلاث أوجه تعدد المعنى فيكل وجه ، وهذا هو الايجاز الذي ما لا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدّتها.[3]

هذا الإيجاز بنوعيه يدخل ضمن قانون الكم ، مقارب في ذلك ما جاء به "بول غرايس" في قوله "كن موجزا"

4-2- الإطناب:

و قد عرفه أحد العارفين بقوله "هو آداءه بأكثر من عبارتهم، سواء كانت القلّة أو كثرة راجعة إلى الجمل ، أو إلى غير الجمل "، و عرفه ابن الأثير بقوله " المبالغة في إيراد المعاني ، و هذا لا يختص بنوع واحد من الأنواع علم البيان ، و إنما يوجد فيها جميعا إذ ما من نوع منها إلا ويكم المبالغة فيه ."[4]

إذ أنّ في كل صنف في البلاغة ينطوي تحتها الإطناب وكل تلك الأصناف يمكنا المبالغة في ،وإذا بالغنا عدّ ذلك اطناب حسب قول صاحب المثل السائر.

إذ يعرفه أيضا بقوله "مو زيادة اللفظ على المعنى للفائدة وهذا ما يميزه عن (التطويل) إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة ، وأمّا(التكرير) فإنّه دلالة اللفظ على معنى مردّد ، كقولك لمن تستدعيه أسنواع التي تشابهه كالتطيل والتكرير وغيرها...ثير الى عدة أقسام :

---

1 نفسه،ص339.

2 ينظر:نفسه ، ص339.

3 ضياء الدين بن الأثير:المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر،بتصرف،ص341.

4 نفسه،ص342.

4-2-1- الذي يوجد في جملة واحدة من الكلام : و هو ما يرد حقيقة ومجازا.

أ.ما يرد حقيقة : مثل ما قاله ابن الآثير:" رأيته بعيني ، وفطنته بيدي ، و وطئته بقدمي ، و ذقته بفمي ."[1]

هذا إطناب توكيدي يطنب فيه المتكلم ليؤكد حاجة في صدره و هذا ما يرجعنا للتداولية في قوانين التخاطب عند "بول غرايس"، بقوله في قاعدة الكم " أن لا تضم مشاركتك ما يزيد على المعلومات المطلوبة"[2]

في المثال بن الأثير الأخير يوجد اطناب لكن ليس فوق الحاجة وهو ما يماثل قول "غرايس" إذا دام الحال هكذا، منه نستنتج أن الاطناب الذي يجيء في الحقيقة يساير مبدأ "غرايس" إلى حد كبير فالمقاربة ها هنا تكللت بووجد التشابه المطلوب في الدراسة.

يقول ضياء الدين :"...إن الرؤية لا تكون إلاّ بالعين ، و القبض لا يكون إلاّ باليد ، و الوطئ لا يكون إلاّ بالقدم ، و الذوق لا يكون إلاّ بالفم ،...بل هذا يقال في كل شيء يعظم مناله ، و يعز الوصول إليه ، ...على هذا الوجه ، دلالة نيله و الحصول عليه كقول أبي عبادة البحتري :

تأمل من خلال السجن و أنظر بعينك ما شربت ومن الساقي

تحد شمس الضحى ندنو بشمس إلى من الرحيق الخسرواني "[3]

على هذا السياق وردت الأية الكريمة في قوله عزّ وجل:(ذاكم قولكم بأفواهكم)

و قوله جلّا وعلّا في قصة الإفك قال تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[4]

بيّن ابن الأثير من خلال الآية ، أنّ الإطناب فيها جاء لتعظيم المقول ."[5]

أي إنّ الإطناب في سياق الحقيقة يجيء لتوكيد و التعظيم ما يبالغ لأجله ، فالكذب والافتراء على الناس كبر إثمه و عظم في ديننا الاسلام الحنيف.

1 ضياء الدين ابن الأثير :المثل السائر ،ص346.

2 محمود طلحة:قوانين التخاطب في اللغو العربية،ص11.

3 ينظر: ابن الأثير، المثل السائر،ج2،ص346.

4 النور/15.

5 نفس المرجع السابق،ص347.

ب .ما يرد في المجاز :الاطناب على سبيل المجال قوله تعالى :(فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي هي في الصدور) ، بيّن ابن الأثير الاطناب مجازي في الآية يقول :" فائدة ذكر الدور ، ها هنا أنّه قد تعورف وعلم أنّ العمي على الحقيقة مكانه الصبر ، وهو أنّ تصاب حدقة بما يطمس نورها ، واستعماله في القلب تشبه و مثل . "[1]

بهذا يستعمل التشبيه دائما في الإطناب لإيضاح الشيء المقول فيقول :" فلما أريد إثبات ما هو زيادة و تصوير و تعريف "[2]

4-3-قانون الكيف : يتمثل في الإطناب الموجود في الجمل

إطناب الجمل له أضرب متنوعة و هي:

4-3-1- .ذكر اللفظ بمعان متداخلة : و فيها نجد بعض التعقيد و التداخل و هذا ما يؤدي بنا إلى مسلمة الكيف عند "غرايس" حينما قال : "ابتعد عن اللبس" و قد شرح هذا الضرب "ابن الأثير" في شاهد شعر لأبي تمام قال :

زكى سجاياه يضيف ضيوفه ويرجى مرجية ويسأل سائله "[3]

يقول :"فإنّ غرضه من هذا القول إنّما هو ذكر الممدوح بالكرم و كثرة العطاء إلاّ أنّه وصفه بصفات متعددة ، فجعل ضيوفه تضيف ، و راجيه يرجى ، وسائله يسأل ، و ليس هذا تكرير ، لأنّه لا يلزم من كون ضيوفه تضيف أن يكون راجيه مرجوا ، ...أي أنّه إذا تعلق به رجاء راج فقد أيقض بالفلاح و النجاح ، فهو حقيق بأن يرجى ، لمكان رجائه إياه وهذا أبلغ الأوصاف الثلاثة"[4]

وهذا ما ورد في مقال محمود طلحة حينما وظّف في مقاله شروط وجود قانون الكيف في البلاغة العربية ، وقال :" لا مجال للتعقيد في الكلام البليغ "[5] و هذا ما وجد عند علماء التراث في البلاغة العربية ضمن مباحث الفصاحة .

4-3-2- ذكر المعنى تاما ثم يردفه بمثال من التشبيه :

1 ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر ،ص350.

2 نفسه،ص350.

3 نفسه،ص351.

4 ينظر: نفسه،ص351.

5 ينظر : محمود طلحة ، قوانين التخاطب في البلاغة العربية،ص23.

إذ أنّ المجاز والكناية أبغ من حقيقة والتصريح وهذا ما ا يجعلنا نقارب بتمام ما وجد عند "غرايس" و"ديكرو" تراث ضمن نظرية الالتزام الحواري وما تفرع عنها من قوانين ، مما نتحدث عنه اللحضة هو قانون الكيف وما نجده عند ابن الأثير في هذا الظرب يفيد بوجود تقارب له نسبة من التمام ، إذ نجد في كثير من الأحيان

ابن الأثير أتى في كتابه بما يعد ركيزة الأساس في دراسة قوانين التخاطب، تحدث في باب الاطناب وبين أصول المقاربة بين ما هو تداولي في العصر الحالي وما كان في البلاغة العربية الأصيلة .

الاطناب من ذلك القبل يذكر الكاتب أو الشاعر معنى تاما ثم يوضحه بما هو أبلغ منه بمجاز من التشبيه أو الكناية.

يقول بن الأثير مستشهدا بقول أبي عباد البحتري :"

ذات حسن لو استزادت من الحسن لما أصابت مزيدا

فهي كالشمس بهجة ، والقضيب قدا، والريم طرفا وحيدا

ألا ترى أن الأول كاف في بلوغ الغاية في الحسن لأنّه قال :" لو استزادت لما أصابت مزيدا " دخل تحته كل شيء من الأشياء الحسنة إلاّ أنّ التشبيه مزية أخرى تفيد السامع مع تصوير و تخيل ، لا يحص من الأول .

الاطناب الذي يوجد في الجمل هو اطناب تركبي ، يدخل ضمن المباحث التداولية في عصرنا الحالي ، إذ يجسد قوانين شتّى ، من قوانين التخاطب إذ يتحدث عن الكلام البليغ وما يقتصرعليه من تركيب قد الحاجة ن وفيه كلام واسع وشامل عن المجاز والكناية ودورها في توضيح المعنى المراد .

وهذا القدر كاف بنسبة لبحثنا الذي موضوعه قوانين التخاطب في المثل السائر.

كتاب بن الأثير كتاب واضح متسلسل في منهجه ، يحتذي بالمنهج التعليمي ، الذي هو مرفوق بالبساطة والشرح والوضوح ن هو كتاب جمعت فيه ضروب الكلام ، وفنون الكتابة ، ودقة النقد ، يجسد في طيّاته فنون الكتابة وسبل الفصاحة ، شواهده من القرآن الكريم والسنة المبجلة سنة نبينا محمد عليه صلات والسلا م – الحديث الشريف– ، وقامات الشعر كأبو نواس و أبي تمام والبحتري ، و أمثال الشائعة في أقوال العرب و أثرهم.

هو كتاب من التراث العربي الأصيل جسد بين دفيتيه التداولية على عمومها وقوانين التخاطب بكل ضروبها ، إلاّ أنه لا مجال للمقاربة الكاملة لاختلاف العصور والاختلاف الظواهر و الغايات.

خاتمة

خاتمة

أولى فلاسفة اللّغة العادية اهتماما كبيرا بالجانب الاستعمالي للغة ، عالجوا جملة مواضيع اعتبرت من صميم البحث التداولي ، كالالتزام الحواري في علاقة اللغة بالمتكلم ومقاصده ، و ما انبثق عنه من قوانين حوارية ، كانت صميم المحاولة في بحثنا هذا ، كما أنّ في دراستهم وصلوا القول في استعمال اللغة ، هو دون شك الوسيلة المثلى عن كشف المعاني المستلزمة . و بتالي اظهار ما يمكن اظهاره من وجود قوانين التخاطب الذي تعد مقياس يفصل به بين المعاني الظاهرة ، و الباطنة ، أي الظاهرة على مستوى الحروف قنن لها قوانين ، إذا تم العدول عن هته القوانين ، تم الجزم بأنّ هذا العدول يعدّ خرقا للقاعدة و بالتالي ينتقل معناها الحرفي الذي يوجد على مستوى الكلمات والذي يعد تماشيا مع قوانين التخاطب ، إلى ما هو أبعد و أعمق و دخل ضمن مستلزمات القول ، الذي يكشف معناه حالة المتكلم من مقامه الذي هو فيه ، و هذا ما تطرقنا له في الفصل الأول ، وكان الأساس الذي نستقي منه عناصر النظرية فيه ، كما اخترنا المضي مع هذا الفصل ثلاثة علماء قدّموا لهذا النوع من الدراسة الكثير منهم "غرايس" ، و "ديكرو" الذي استدرك عن "غرايس" جل ما قامت عليه دراسته ، و طه عبد الرحمان الذي بلور هذه الدراسة أول مرة و أدخلها ضمن الدراسات اللسانية العربية .

في الفصل الأول ، و الذي تكلمنا فيه بشكل نظري لاحضنا تكامل بين الباحثين في قوانين التخاطب ، و كيف أنّ الأول قنن و بدأ من خلال مقاله ، و أرسى مبدأه وما انبثق منه من قوانين ، وكيف جاء الثاني و انتقده لما يبني مبدأه عاين الثغرات ثم أضاف الجديد في هته الدراسة ، وصولا الى طه عبد الرحمان الذي أخذ عن عاتقه الترجمة لما توصلوا له علماء الغرب (غرايس،ديكروا و غيرهم) ، كشف ثم رمّم قوانين التخاطب بمبدئه الذي سمّاه مبدأ التصديق الذي قسمه إلى قسمين قسم يراعي تحري الصدق في الكلام ، وقسم يدخل ضمن أخلاق المتكلم وتعامله (قسم تواصلي وقسم عملي).

رحنا من خلال رحلة البحث وصولا إلى الفصل الثاني ، و بالاستعانة بكتاب المثل السائر الذي يعد كتاب من أمّهات الكتب في البلاغة و النقد جعلنا منه ميزان قياس بين ما في محتواه و ما هو في فرع التداولية (قوانين التخاطب)،تناولنا بداية ونحن بصدد ما نصبو له نبذة عن بن الأثير ضياء الدين أخذنا لمحة عن حياته وعصره و ثقافته و أكثر ، من خلال كتابه نموذج البحث (المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر)تجلّت لنا قوانين التخاطب في ظواهر عديدة اخترنا منها:

1. الالتفات بقسميه : تنويع الضمائر ، وتنويع الأزمنة ، الذي يظهر تجليات الاستلزام التخاطبي و ما يتضمنه من افتراض مسبق ومضمرات القول. تتجلّى فيها مضامين الاستلزام الحواري الذي أساس انبثاق قوانين التخاطب.
2. الإيجاز بضربيه : الإيجاز بالتقدير و الإيجاز بالقصر الذي تتجلى فيهما قوانين الكم وما تحتويها من خرق لقوانين التخاطب.

3. الإطناب بقسميه : ما يكون في جملة واحدة ، وما يكون داخل تركيب الجمل ، و الضروب التي انطوت تحت هاتين القسمين .

في الإيجاز و الإطناب تمثلت لنا قوانين التخاطب و ما تروم له إذ تكشف لنا تجليات في كثير من الأحيان على وجود قاعدتا (الكم و الكيف) وبعض ما أتى من مبادئ من القوانين الأخرى المتبقية .

عملت هته الدراسة على الوقوف مقاربة بإظهار ما تمكن إظهاره من تجليات قوانين التخاطب و ما يضاهيها في المثل السائر الذي اخترنا منه الجزء الأول والثاني للوقوف عند أهم التجليات مسلمات "غرايس" ومن حذى حذوه ،

إلاّ أنّ هته القوانين و والظواهر التي تكملنا عنها من المثل السائر كانت في مجملها متقاربة إلى حد كبير ، إلا أن الاختلاف واقع الحدوث لاختلاف أسباب الدراسة ، فهذه التجليات لا تعد مطابقة لما أتى في الكتاب لاختلاف غايات و أسباب الدراسة بين ما جاء في المثل السائر ، و التداولية بعلمائه الذي أخذوا شوطا لا بأس به في مجال قوانين التخاطب.

و منه نستنج الحوصلة التالية :

- قوانين التخاطب فرع تداولي ظهر كأول مرة مع الفيلسوف "بول غرايس" ثم استدرك عليه العديد من الباحثين.
- البلاغة العربية القديمة زاخرة ، بما هو ضمن الدراسات التداولية
- تتجلى قوانين التخاطب عن ابن الأثير في ظاهرتا الإيجاز و الإطناب.دون الإغفال عن ظاهرة الإلتفات تجسد مضامين "الإستلزام الحواري ".

أختم هذا البحث بقول الحمد لله الذي سهل لنا سبيل هذا العمل، و بالصلاة و السلام على روسول الله صلى الله عليه وسلم . و إن أصبت فمن الله ، و إن أخطأت فمن نفسي أعوذها بالله من الشيطان الرجيم ، و أرجو أن يساعد هذا البحث و لو بالقليل كلّ من تصفّحه و نال منه . أمين .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1- كتب :

1-1- حنا الفاخوري :جامع في تاريخ الأدب العربي ،دار الجيل،ط1،بيروت،لبنان،1986،ص402.

1-2- ابن خلجان،وفيات الأعيان و أنباء الزمان،تح:احسان عباس،دار صادر،بيروت . لبنان .،دط، ج5.

1-3-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، د ط ، د ت.

1- 4-روبير مارتن، في سيل منطق المعنى، تر و تح: الحسن البكوش وصالح الماحري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

1-5-شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف،القاهرة-مصر-،ط9،دت.

1-6-ضياء الدين بن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،المكتبة العصرية، ،تح: محيي الدين عبد المجيد،ج1 بيروت-لبنان - دط ،2010.

1-7- طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو تكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء-المغرب-،ط1998،1.

1-7- طه عبد الرحمان، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب،ط3، 2007.

1-8- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير ،افريقيا الشرق،الدار البيضاء-المغرب،دط،2006.

1 -10- عبد القادر البار:الاستلوام الحواري و دناميكية التخاطب في مفهوم غرايس،2018.

1-11- عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتجيات الخطاب،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت-لبنان-،ط1،2004.

1-12- عمر بلخير ، الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية، (الخطاب المسرحي نموذجا)، ماجيستير ،جامعة الجزائر معهد اللغة العربية وأدابها، 1996-1997.

1-13- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف – الجزائر، ط1، 2003.

1-14-فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، د ط ، د ت.

1-15- محمد زغلول سلام،الأدب في العصر الأيوبي،منشأة المعارف،الاسكندرية-مصر-،دط،1990.

1-16- محمد سويرني، النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم تركيب توليد في اسلوبي تداولي، افريقيا الشرق،الدار البيضاء ، المغرب، د ط، 2007.

1-17- محمد عبد المطلب : جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم،الشركة المصرية العالمية ،القاهرةمصر،ط1955،1.

1-18- محمود طلحة، مسعود صحراوي تداولية الخطاب السردي ، عالم الكتب الحديث، ط2012،1.

1-19- مسعود صحراوي: التداولية في عن علماء العرب،دار الطليعة،بيروت-لبنان-،ط1،2005.

1-20- نواري سعودي أبو زيد، تداولية الخطاب الأدبي المباديء والاجرآت، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط 1، 2009.

2- معاجم:

2-1- محمود الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، اساس البلاغة، منشورات الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2005.

2-2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت -لبنان-، ط3، 1993.

2-3- فيروز ابادي، قموس المحيط، دح محمد الباي، دار الفكر ،بيروت – لبنان، ط6، 2005.

3- رسائل علمية :

3-1- سارة تمبراط ، الاستلزام الحواري في كليلة ودمنة،ماستر، العربي بن المهيدي،أم البواقي،2015 /2016.

3-2- عبد الفتاح يوسفي،قوانين التخاطب في الخطاب المسرحي"الفيل يا ملك الزمان"لسعد الله يونس أنموذجا،ماستر،عمّار الثليجي-الأغواط2016/2017.

3-3- لامية فلكاوي،سمية فراج،قواعد الكتابة الفنية عند ابن الأثير من خلال كتابه:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ماستر أدب عربي قديم،عبد الرحمان ميرة-بجاية-،2017/2018.

3-4- يمينة رعاش،القضايا الابداعية والنقدية في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير،دكتوراه علوم،جامعمة العقيد حاج لخضرباتنة،2014 /2015.

4- مقالات :

4-1- محمود طلحة : قوانين التخاطب في البلاغة العربية،العدد25.

4-2- نعيمة يعمران،تجليات البعد الضمني للخطاب عند بن الأثير،مولود معمري-تيزي وزو-،مج13،عدد1.

5 – مصادر الإلكترونية :

5– 1– مقال من الإنترنت :

5-1-1- محمد أبحير:ابن الأثير وكتابه المثل السائر في أدب الكاب والشاعر،/ htt//anfass.org،10جوان2018.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة..... 4
مدخل التداولية أصولا و امتدادا.....9
1. مفهوم التداولية 10
أ. لغة 10
ب.التداولية إصطلاحا: 11
2- أقسام التداولية : 12
2- 1- أقسام التداولية عند الغربيين: 12
أ- التداولية المرتبة الأولى 13
ب- التداولية المرتبة الثانية 13
ج- التداولية المرتبة الثالثة 13
2- 2- التداولية عند العلماء العرب في التراث 13
الفصل الأول :قوانين التخاطب في التداولية..... 16
توطئة.....17
1.ماهية قوانين التخاطب: 17
ب- قوانين التخاطب اصطلاحا: 18
2. قواعد التخاطب المنبثقة على مبدأ التعاون: "عند بول غرايس". 19
2-1 مسلمة القدر Quantitié: 19
2-2 مسلمة الكيف : Qualeté 20

2- 3- مسلّمة الملاءمة Pertinence: 20

2- 4- مسلّمة الجهة Modalité.....20

3.خرق قواعد التخاطب.....21

أ.المعاني الصريحة.....21

ب.المعنى الضمني.....21

3-1- خرق مسلمة الكم.....22

3-2- خرق لقاعدة الكيف 22

3-3- خرق قاعدة العلاقة 23

3- 4- خرق مسلمة النوع 23

4. قوانين التخاطب عند "ديكروا": 24

4-1- قانون الاخبار informativifé 24

4- 2- قانون الشمول exhjustivité 25

3- 4- قانون الصدق sincérité.....26

4- 4- قانون الإفادة 27

5. قوانين التخاطب عند طه عبد الرحمان :.....27

5-1- قسم تواصلي.....28

5-2- قسم القواعد التعاملية 28

5-2-1- الصدق 29

5-2-2- القصد 29

الفصل الثاني : قوانين التخاطب في المثل السائر..... 31

1.ضياء الدين ابن الأثير و عصر:.....32

1-1- التعريف بضياء الدين ابن الأثير 32

1-2- عصره: 32

1-3- ثقافته 32

1- 4-مذهب ابن الأثير 33

1- 5- آثار التي تركها ابن الأثير 34

2. كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 36

2 -1- لمحة عن الكتاب: 36

2-2- منهج ضياء الدين في التأليف.....37

2-3- قيمة الكتاب النقدية والبلاغية 37

3. الاستلزام الحواري في المثل السائر: 38

3-1- مقالة الصناعة اللفظية : 38

3-1-1- اللفظة المفردة : 39

3-1-2- اللفظة داخل التركيب 40

3- 2- المثل السائر والتداولية:.....40

3-3- الالتفات 41

3- 3-1-تنويع الضمائر :.....41

3-3-2-تنويع في الأزمنة 42

4. قوانين التخاطب في المثل السائر: 44

4-1- قانون الكم 44

4-1-1-الايجاز بالتقدير 45

4-1-2- الإيجاز بالقصر 46

أ .ما يدل على محتملات متعددة.....46

ب . ما لايمكن شرحه بما يشابهه من الألفاظ لا في كمها ولا في نوعها 47

4-2- الإطناب:.....48

4-2-1- الذي يوجد في جملة واحدة من الكلام 49

أ.ما يرد حقيقة.....49

ب .ما يرد في المجاز.....50

4-3-قانون الكيف 50

4-3-1- .ذكر اللفظ بمعان متداخلة 50

4-3-2- ذكر المعنى تاما ثم يردفه بمثال من التشبيه.....50

خاتمة.. 53

قائمة المصادر و المراجع 59

فهرس المحتويات 60

ملخص الدراسة.....63

ملخص الدراسة

عنوان المذكرة: قوانين التخاطب في البلاغة العربية ، "دراسة" في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر"لضياء الدين بن الأثير.

اللقب: بن غريقة . الاسم : عامر . المؤطر : محمود طلحة .

نهدف من خلال هته الدراسة الوقوف عند قوانين التخاطب عموما ، و كيف عالجها علماء التداولية ("بول غرايس" ، "أوزفالد ديكرو" ، "طه عبد الرحمان") ، و أين تتجلى في عدد من ظواهر البلاغة العربية في كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر" لضياء الدين ابن الأثير . ثمّ استخلاص القوانين التي تتقارب و الظواهر البلاغية ، التي تمحور بشكل عام في ظاهرتا الإيجاز و الإطناب ، اللّذان شكلا محور البحث ، و الهدف المطلوب من الدراسة .دون الإغفال عن ظاهرة الالتفات التي يتجلّى فيها "الاستلزام الحواري"الذي يعد مصدر قوانين التخاطب التي انبثقت منه . لنستنتج أن كتاب ابن الأثير قد جمع تجليات "مبدأ التعاون" و ما تفرعت عليه من قوانين ، ظهرت في الإيجاز و الإطناب .

الكلمات المفتاحية : التداولية ، قوانين التخاطب ، البلاغة العربية ، المثل السائر ، الإيجاز ، الإطناب .

Name:Ben Gheriga . First name: Ameur. Directed by: Mahmoud Talha

Apstract :

We aim through this studyIntroducing communication laws in general,And how the pragmatists studied it,« O.P.Grice », « O.Decrnt » , and Tha Abed Alrahman.And where do they appear in a bunch of rhetorical phenomena in a book is « Diae eddine Idn Al Athir common saying».Then we put together a summary of the laws of communication that we compare to phenomen. which are generally centered in the phenomena of brevity and redundancy Without forgetting the phenomenon Changing consciences and times It is so it is reached that the book has shown the principle of cooperation which is explained inChanging consciences and

times The laws of communication, Arabic rhetoric, the common saying,brevity,redundacy.

Key words :

Pragmatique, laws of communication, rhetoric, The proverb is

common, brevity, redundancy .

Nom: **Ben Gheriga**. **Prénom Ameur**. **Encadreur**: **Mahmoud Talha**.

Résumé:

A travers cette leçon,nous visons à montrer les lois communication « O.P.Grice » ,« O.Decront »,« Taha Abd Alrahman » ,il is refléte dans un certain nombro du phénoméne de la rhétorique arabe dans le livre « le proverbe commun » , pluis le résumé « Les Lois commnication »qui est généralement centrrée sur la briéveté et la parole fréquente ,sans oublier le phénomeéne de changement de temps et de pronoms qui apparaissent dans l'obligation conversationnelle.c'est la que les

régles de communication sont sorties.

Mots-clés :

proverbe commun, la Pragmatique,Les Lois commnication,rhétorique,le briéveté , la parole fréquente .